مجلة شهرية

Issue No: 147 عدد:
November 2019 شهر تشرين ثاني

نـور يسوع المسيح الغالب المسيـح
Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديس جيوارجيوس المُظفَّر

صُنَّا واحرُسنَا يا شهيدَ المسيحِ وزَعيمَ مُجاهديهِ
وصديقَهُ المُخْلِصَ جاورجيوسُ. يا مِصباحَ المسكونَةِ البَاهِرَ النورِ.
والكوكبَ النَّيِّرَ الثَّاقِبَ. والمنارةَ السَّاطِعَةَ الضِّياءِ.
وَحَارِسَ مُكرميهِ الَّذي لَا يَغفَلُ

محتويات العدد

2	الحضور الى الكنيسة
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	أعِدُّوا طريق الربّ
5	فساد الجسد وجمال النفس
6	محاسبة النفس والاستعداد
8	أيّتها الأرثوذكسيّة
9	آثار مسيحيِّة
10	--------
11	--------
11	--------
12	الروحانية الأرثوذكسية
13	----------
14	حياة النُسك
15	الراهب ايسيخيوس
17	من أقوال القديس برصنوفيوس
18	موقف الكنيسة من حرق...
19	الاعتراف والأب الروحي
20	موقع التوبة
21	--------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا
جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الحضور إلى الكنيسة

القديس فيلاريت موسكو

عندما يحين الوقت المخصَّص لله وللحضور إلى معبده، خاصة يوم عيد أو ساعة القداس، سارعٍ إلى انتزاع ذاتك من الأعمال والاهتمامات الدنيوية، وقدّم نفسك لله طوعيًّا وبغيرةٍ في كنيسته. وإذ تدخل الكنيسة تذكّر وعد الرب للذين يجتمعون باسمه: هناك أكون بينهم (متّى ١٨: ٢٠)، وَقِفْ بوقار في الكنيسة، وكأنّك أمام وجه المسيح نفسه، وَصَلِّ إليه ليقدّسك بقداسته، وينشّطك بصلاته، وينيرك لكلمة الإنجيل ونعمة الأسرار.

تذكّر أيضًا أنّ، في الكنيسة، تخدم الملائكة معنا وتحفظ قداسة الدار هناك. في إحدى المرّات، في **دير القديس ثيوذوسيوس قرب أورشليم**، فيما كان **الأب ليونديوس** آتيًا إلى الكنيسة لتناول الأسرار الإلهية، رأى **ملاكًا** واقفًا عن يمين المائدة المقدّسة، وإذ خاف واستدار ليهرب إلى قلايته، ناداه صوت الملاك: «منذ أن كُرِّسَتْ هذه المائدة أُوكِلَ إليّ أن أحرسها».

تذكّر ذلك أيها المحبوب، وَقِفْ بورع. وإذا أحسستَ أنّ جسدك يقف وحده في الكنيسة فيما عقلك **يفكّر بالبيت أو السوق أو مكان المرح**، استجمع ذاتَك. أسرِعْ إلى استعادة فكرك الذي شرد وَضُمَّهُ إلى الله في قلبك، أرغِمْه على السعي نحو الله الذي يهتمّ بك. عندما تسمع كلمة الله، افتحْ لا أذنيك الجسديتين وحَسْب، بل الروحيتين أيضًا، افتح قلبَك، تقبَّل هذا الخبز السماوي وبه غَذِّ لا ذاكرتك وحسب بل حياتك وعملَك أيضًا.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الذكرى السنوية الثانية عشرة لجلوسه على العرش البطريركيّ الأوروشليمي

سعادة قنصل اليونان العام السيد خريستوس سوفينوبولوس الجزيل الاحترام

أيها الآباء الأَجِلَّاء والإخوة المحترمون،

أيها المؤمنون، الزوار الحسنو العبادة، الحضور الكريم كلٌ باسمهِ مع حفظِ الألقاب،

مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ (اف ١: ٣). وجعلني أن أكون على العرش البطريركي لكنيسة أُورشليم المقدسة خَلفًا **للقديس يعقوب أخي الرب** أول رؤساء أساقفة أُورشليم.

قد أتممنا اليوم الذكرى السنوية الثانية عشرة في الخدمة المقدسة منذ اعتلاء العرش الأسقفي والبطريركي للقديس شهيد كنيسة أُورشليم المقدسة.

فذهبنا إلى كنيسة القيامة المجيدة برفقة أخوية القبر المقدس الأجلاء، لكي نرسل الشكر والتمجيد **للإله الواحد المثلث الأقانيم** «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ. (فيلبي ٢: ١٣) حسب بولس الرسول.

إن ذكرى عيد اليوم لا يخص أو يتعلق بِشخصنا فقط، ولكن بالأخص وقبل كل شيء يتعلق بالمؤسسة المقدسة للرتبة الأسقفية الروحية الكنسيّة لأنّ «السِّرَّ الْمَكْتُومَ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أفسس ٣: ٩-١٠).

إن مسؤوليتنا الرئاسية والرعوية إلى الآن في أم الكنائس تهدف مؤكدة نفس ما كان يصبو ويهدِفُ إليه أسلافنا الذين تسلَّموا هذه **الأمانة الرسولية، لايمانا الأرثوذكسي المقدس الطاهر الخالي من الشوائب**، كما أوصَانا القديس بولس رسول الأمم «اِحْفَظِ الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِينَا» (٢تيم ١: ١٤) وأيضًا إلى الحفاظ على الخدمة الليتورجية للمزارات والأماكن المقدسة **وامتيازات وحقوق جنسنا الرومي الأرثوذكسي الملوكيّ**.

ولنسمع قول القديس اشعياء النبي الذي يقول «مِنْ أَجْلِ صِهْيَوْنَ لاَ أَسْكُتُ، وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ لاَ أَهْدَأُ، حَتَّى يَخْرُجَ بِرُّهَا كَضِيَاءٍ وَخَلاَصُهَا كَمِصْبَاحٍ يَتَّقِدُ.» (اشعياء ٦٢: ١).

لقد نظمنا محافل دولية من أجل الحفاظ على نظام الثقافات والديانات والقوميات المتعددة لنسيج شعب هذه الأرض المقدسة أُورشليم، أي اليهودية والمسيحية والإسلامية المهدّدة من قِبَلِ منظمات متطرفة وحركات وجماعات استيطانية.

لأن هذا هو ما نفعله في رسالتنا الأخلاقية والبطريركية «لأَنَّ اللهَ قَدْ دَعَانَا فِي السَّلاَمِ. لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ.» (١ كور ١٤: ٣٣) كما يقول بولس الرسول وذلك لأن مدينة أُورشليم المقدسة هي الرمز والشعار الأبدي العالمي المنظور لدماء البر والعدل الإلهيّ للأنبياء ولا سيما **ربنا ومخلصنا يسوع المسيح** « الذي تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ» (١بطرس ٣: ١٨).

إن هذه الذكرى السنوية الموقرة للجلوس على العرش تدعونا لا للافتخار بأعمالنا بل «للافْتِخَارُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (رومية١٥: ١٧) . «لأَنَّ فَخْرَنَا هُوَ هذَا: شَهَادَةُ ضَمِيرِنَا »(٢كور ١: ١٢) وأيضًا إن هذه الذكرى تدعونا إلى اليقظة والانتباه لما نراه **من حالة الفوضى والاضطراب في العالم بشكل عام، وفي منطقتنا والشرق الأوسط بشكل خاص** كما يوصينا بولس الرسول: «اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوَّوْا. لِتَصِرْ كُلُّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ.» (١ كور ١٦: ١٣-١٤).

إنَّ الدعوة لهذه الرسالة المقدسة أي قيادة دفة الكنيسة المقدسة، يشاركني فيها إخوتي القديسون الآباء الأجلاء في أخوية القبر المقدس، من الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان، نقودها معًا وسويةً كما يقول **القديس أغناطيوس المتوشح بالله** :(بذهنٍ راسخ نحاول جاهدينَ أن نعملَ ما يرضي الله، وذلك لأن الأسقف هو على مثال المسيح، والكهنة والشمامسة على مثال الرسل الذين

ائتمنهم المسيح على هذه الخدمة، المسيح الذي هو قبل الدهور مع الآب والذي ظهر لنا في الأزمنة الأخيرة).

وإني أَوَدُّ أن أقول الحقيقة مع القديس بولس الرسول «إِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. (أفسس ٦: ١٢). إن هذه الحقيقة يشهد عليها وبشدة **تاريخ كنيسة أُورشليم المقدسة أي بطريركية الروم الأرثوذكس** لما تعانيه من الصدمات **بسبب لُجَجِ الكذب وبحور الإشاعات الباطلة والمضللة التي يطلقونها عليها.**

ختامًا نتضرع إلى إلهنا أبي الأنوار أن يسدِّد خطانا للعمل بوصاياه **بشفاعات والدة الإله سيدتنا والدة الإله مريم،** وبتضرعات وتوسلات القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس، **ونعمة قبر ربنا ومخلصنا يسوع المسيح القابل للحياة** لتمنحنا القوة في خدمة المزارات والأماكن المقدسة والتي تشكل الشهادة الصادقة على إيماننا ولا سيما العناية الرعوية لأبنائنا المسيحيين الأتقياء، راجيًا من الله لكل الذين شاركونا في هذه الصلاة بحضورهم، أن يمنحهم قوة من العلاء ونعمة من القبر المقدس وصبرًا، وكل بركة روحية وأشكر بحرارة كل الذين ألقوا كلماتهم.

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

«أَعِدُّوا طريق الرب»

القديس يوحنا الذهبي الفم

لنتأمل معًا كيف أن كُلًّا من **النبي إشعياء والسابق يوحنا المعمدان** يوصِّلان لنا نفس الرسالة، رغم أنهما لا يستخدمان نفس التعابير، **فالنبي** يسبق فيُنْبئنا أنه لا بُدّ سيأتي المسيح، فيقول: «أعدّوا طريق الربّ، اجعلوا سبيله مستقيمًا». أما **السابق يوحنا المعمدان** فعندما أتى، بدأ رسالته قائلًا: «اصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة»، وهذه الدعوة لها نفس المعنى تمامًا مثل: «أعدّوا طريق الرب». فكلُّ ما قيل **بالنبي** أو **بالمعمدان**، فهو يعني نفس الأمر.

إن **السابق** أتى لكي يُعدَّ الطريق لا أن يقدّم للناس عطيّة المغفرة، بل بالاحرى ليُعدَّ نفوس أولئك الذين سينالون هبة الهبات.

ولكن **القديس لوقا البشير** يضيف شيئًا أكثر، فهو لم يكتفِ بأن يعطي بعضًا من النبوّة، بل كل النبوّة: «كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً، وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ.» (لو ٣: ٥ و٦؛ إش ٤٠: ٤ و٥).

ثم تأمل كيف أن **النبي** منذ أمدٍ طويل يسبق فينبئ بكل شيء: تجمُّع الناس معًا، تغيُّر الأمور إلى الأفضل، بساطة الأمور المستعلنة، والداعي لكل هذه المجريات؛ حتى وإن كان يتكلم بالرموز. نعم لأنه كان ينبئ بأمور آتية. لأنه عندما كان يقول: «كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً»: كان يعني بذلك أن المتواضع سيُرفَع، وأن المتكبّر سيخفض، وأن خشونة الناموس ستُبدَّل بعذوبة الإنجيل، ليس بعد «عرَقٌ ووجعٌ» ، بل **نعمةٌ وغفرانٌ للخطيئة**. هذا هو **افتتاح طريق الخلاص الرحب**. ثم إنه يبين الغاية من كل هذا، قائلًا: «وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ» ؛ ليس كما كان سابقًا، حيث كان اليهود والمتهوّدون وحدهم، هم المختصون بالرؤية، بل «كلُّ بشر»، أي **سائر الجنس البشري**. وأما «الطرق الوعرة والمعوجّة» فهو يعني بها نوع **الحياة الفاسدة** التي كانت: **عشّارون** «**ظَلَمَة**»، **زناة، لصوص، مشتغلون بالسحر**: الذين كانوا قبلًا معوجّين في طرقهم؛ ومن ثَمَّ دخلوا الطريق المستقيم، كما قال الرب نفسه: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ» (مت٢١: ٣١) ذلك لأن هؤلاء كانوا قد آمنوا به. ويتكلم **النبي** عن نفس الشيء ولكن بتعابير أخرى: «الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعًا» (إش٦٥: ٢٥). فكما تكلم قبل هذا عن الجبال والأودية مُعلنًا بذلك أن الطبائع المختلفة ستتآلف إلى واحد عن طريق **معرفة الحكمة أي معرفة الخلاص**، كذلك هنا بالمثل: فهو يعني بالطبائع المتباينة التي للحيوانات العُجم، يعني تباين طبائع الناس، وينبئ كيف أنها ستأتي معًا إلى حياة واحدة متآلفة مستقيمة. وهنا أيضًا، كما فعل سابقًا يُعطي العلّة لهذا قائلًا: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا» (إش ١٠: ١٠؛ مت ١٢: ٢١)، الذي يقصد به نفس المعنى عندما يقول: «وكلُّ بشرٍ سيرى خلاص الله»، مبينًا بهذا أن **قوة ومعرفة الإنجيل** ينبغي أن ينادى بهما إلى أقاصي الأرض، وهذه ستؤول إلى تغيير جنس البشر **من الطرق البهيمية وشراسة النفس إلى وداعة ولطف الخُلُق.**

«فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٣٢). هكذا أُعِدَّت الجوائز والعقوبات هناك، حسب قول المخلص الصادق. ولكن لماذا نطلب الجائزة هناك ونحن قادرون أن نحصل على الخلاص بواسطة الرجاء فقط؟ فإن فعلنا خيرًا ولم نحصل على المكافأة عنه في هذه الحياة، فلا نضطرب لأن هذه المكافأة تُضاعَف لنا في الحياة الآتية.

وإن **فعلنا شرًا** ولم نُعاقَب عليه في هذه الحياة فلا نتهامل بل يجب ان نخاف من عملنا هذا، **لان القصاص الابدي** ينتظرنا هناك، إذا لم نُبدِّل **الشرّ بالصلاح**. واذا كان المعترفون بالمسيح يستحقون المجد في هذه الحياة، فلنفكّر في الأكاليل غير البالية التي سيحصلون عليها في المستقبل. وإذا كان هؤلاء يُمجَّدون حتى من أعدائهم، ألَا يعظمهم المحب البشر الذي تفوق محبتُه محبةَ جميع الآباء الأرضيين؟ هناك تُعطى الجوائز عن الأعمال الصالحة والعقوبات عن الأعمال الشريرة. فكل الذين يرفضون ابن الله يُعَذَّبون هنا وهناك. يعذَبون هنا لأنهم **يضمرون الشر**، وهناك لأنهم يدفعون إلى **العذاب الدائم بعد القبر**. وبالعكس فإن الذين يتبعون المسيح حقيقة فإنهم يحصلون على الفائدة هنا وهناك. هنا، لأنهم يتغلبون على الموت ويُمجَّدون اكثر من الاحياء. وهناك، لانهم يتمتعون بالخيرات التي لا توصف. إن الله مستعد للإحسان أكثر من العقاب فلا تخشَ الموت، وإن لم يحن الوقت، لأننا سنقوم لحياة أفضل من هذه بكثير!

قد تقول أن الجسد يبلى. إذن، يجب أن يكون فرحنا كثيرًا بهذا لأن لا جوهرَ للجسد. لو لم يبلَ الجسد لاستولت **الكبرياء** على الكثيرين، **والكبرياء أعظم الشرور**. وَلَمَا آمن البشر بأن الجسد قد أُخذ من التراب، ومع هذا فإن كثيرين، مع مشاهدتهم حوادث الموت المتكررة، يشكّون في فناء الجسد. لو لم يبلَ الجسد لاشتدَّ تعلق الناس به. فإن بعضنا، مع علمهم بأن الجسد يفنى تمامًا، نراهم **يعانقون القبور**. فماذا كانوا يفعلون لو قدروا على حفظ صورة الجسد تامة، وَلَمَا مال الأرضيون إلى الحياة الآتية، وَلَاسْتَمَرَّ في عنادهم الذين يعتبرون الدنيا خالدة غير معترفين بأن الله هو الذي خلق العالم. ولترك الكثيرون مساكنهم وعاشوا في المقابر وخاطبوا الراقدين كالمجانين بلا انقطاع لأنهم حرموا **الخالد المؤكد**. وعلى هذه الصورة، كيف لا تدخل **عبادة الأوثان** إلينا بأنواعها المختلفة؟ ليعلمنا الأب السماوي الرحيم إن كل أرضي زائل يسلط الفساد على الجسد البشري أمامنا.

وليس الجمال بالجسد. فإن الجمال الحقيقي يتوقف على النور الذي تطيعه النفس في الذّات الإنسانية. كل جمال في حياة الأرضي يتوقف على النفس. فإذا كانت النفس فَرِحَةً يتفتح الورد على الوجنتين، وإذا كانت حزينة تنزع الجمال من الجسد وتوشح هذا **بالسواد**. وإذا كانت النفس في سرور دائم فيكون الجسد أيضًا في الصحة التامة. وأما إذا كانت النفس في **حزن دائم** فلا ريب إن الجسد يكون أضعف من العنكبوت. بغضب النفس يَتَشَوَّه منظر الجسد وبصفاء العينين يزداد رونقًا وجمالًا. إذا استولى **الحسد** على النفس عَلَا الجسدَ **الشحوبُ والاصفرار**، وإن طفحت بمحبة القريب اشترك معها بالوجه المشرق الجميل. ولذلك فكثيرات من النساء غير الجميلات الوجوه، يحصلن على جمال خصوصي من جمال نفوسهن. وبالعكس كثيرات من الجميلات الوجوه يشوّهن جمالهنّ بعدم الجمال في نفوسهنّ. إن الوجه الجميل يتورّد دائمًا بحمرة الخجل. أما الوجه الذي لا يعرف الحياة فهو **أقبح من الوحوش**. لأن النفس الخجول تُجيلُ هيئة صاحبها وادعة محبوبة. فمحبة الجمال الجسدي محزنة مضحكة معًا، **وأما محبة الجمال الروحاني فمتّحدة باللذّة الطاهرة المنعشة**.

الجسد كالوجه المستعار يستر النفس فيكون حسب ما تكون عليه. فإن كانت قبيحة فسرعان ما تصير جميلة إن شاءت. لنفتّش إذًا عن الجمال الداخلي، عن جمال النفس، حتى يرغب **السيّد** في جمالنا ويهبنا الخيرات الأبدية بنعمة سيّدنا يسوع المسيح ومحبّته للبشر الذي له المجد والسلطة الى الدهر آمين.

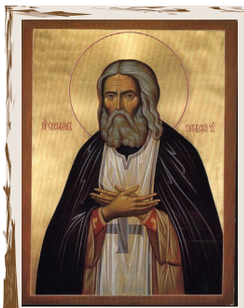

«من السهل أن تعظ عظات جميلة كمن يلقي حجارة من القمة إلى أسفل الجبل.

أما أن تحيا بما تعظ فهو من الصعوبة كمن يحمل حجارة من أسفل الجبل إلى أعلى القمة »

القديس سيرافيم ساروفيسكي

محاسبة النفس والاستعداد

للقديس أفرام السرياني

أيها الأخ الحبيب ثابر على خلاصك، اجلس في هدوء واجمع أفكارك، وقل لذاتك أيها الإنسان لك هذا الزمان وأنت صانع **الشهوات ؟!.**

ماذا انتفعت؟ ماذا ربحت؟ هل زدت على قامتك ذراعًا واحدًا. لقد صرت سمينًا فما خزنت لنفسك شيئًا آخر سوى **طعام الدود؟** إنك أشبعت ذاتك خيرات فهل كنزت لك كنزًا في السموات؟ وكيف ستفعل عند خروجك من العالم؟

ويلكِ يا نفسي إنك في مثل هذه السيرة... ها إخوتك قد تزيَّنوا بالفضائل، هؤلاء المتقون الله بالحقيقة، وأنا ذهبت **إلى الظلمة،** بالغداة أندم على الأعمال التي عملتها، **وفي الليلة المقبلة أكمل شرَّ منها،** الربّ وهب لي حياة وصحة وبهما أُغضب من خَلقني.

يا نفسي لماذا تتوانين؟ ولماذا تتهاونين؟ يا نفسي اعرفي ضعفك وحتى متى تقاومين من خلقك، وتخالفين وصاياه؟

أيها **العدو الخبيث** قد جعلتني عارًا للملائكة والناس، مُطيعًا مشورتك المنافقة، إذ أوحيت لي قائلًا اعمل شهوتك مرَّةً واحدة ولا تصنعها بعد، وها هي تلك الصغيرة قد صارت لي عظيمة، وما يمكنني أن أقاتل شهواتك الخبيثة ذات الألوان الكثيرة. إن الماء إذ وجد ثقبًا يصنع منه هوة عظيمة بتدفقه المستمر.

لقد اظلم ذهني بالأفكار الدنسة فأتيت بي إلى **جب الخطية.** لمن أقول فيبكي عليّ أنا الشقي إذ العدو أوقفني مُجَرَّدًا، لكي لا أنظر إلى الاتكال على الله **(ولكنني لا أيأس من خلاصي إذ هو جزيل التحنن كثير الصلاح).**

وماذا أقول **للعدو** لأنه حَلَّ نُسكي من أجل مرضي، وجعلني غريبًا عن السهر في الصلوات، غرس فِيَّ **محبة الفضة،** جفف دموعي، غلَّظ قلبي، فَصَلَنِي عن إطاعة المسيح، صَيَّرني حسودًا، الخشبة التي في عينيَّ لم يسمح لي أن أبصرها، وقذى أخي يقدمه أمام عينيَّ، يشير عليَّ أن أكتم أفكار قلبي، وإذا سقط أخي في هفوة يجعلني أُهُدُّ فيها.

لقد **علمني العدو أن أكون متكبرًا وغضوبًا،** وجعلني **شَرهًا وسكيرًا ومحبًا للذَّة.**

خسارات نفسي جعلها عندي فوائد، صيرني متذمرًا، علمني أن أكون مُترهًا عن القراءة والترتيل، أصلي ولا أعرف ما أتلو، يسبيني ولست أعلم مرارًا كثيرة.

«هلمي يا نفسي من الآن إلى ذاتك معتمدة على خالقك، ولتذكري نعمة من سترك لئلا يبتعد عنك. يا نفسي اهربي من إبليس فإنه قاتل الانسان منذ القديم، فإن اقتربت إليه لا يشفق عليك من الهلاك. فالصقي بالإله المتعطف على البشر، استحي يا نفسي من الآن وأَقْبِلِي إلى طريق الخلاص».

ينبغي لنا أن نحزن لأن نسيج حياتنا يبلى كل يوم، الأيام تجري لتطردنا من الدنيا ونحن لا نسرع إلى عمل الحسنات .

وهذا هو الحزن الكبير، أن أيامنا تجري إلى الوراء والخطايا إلى الأمام !

الحياة تنقضي والذنوب تكثر، ونحن كمثل بيت كثير المصروفات وليس له من إيراد فهذا سريعًا يخرب، الأيام والليالي دائبة تجري فتنقضي من أعمارنا، النهار يدفعنا لليل، والليل يدفعنا للنهار، ليس لنا اليوم الحياة التي كانت لنا أمس. **اجعل اليوم توبتك** لئلا **يأتيك الموت في هذه الليلة،** الأمر الذي قد تهيأت أن تفعله، ابدأ به الساعة إن تحركت فيك فكرة صالحة لا ترقد حتى تبدأ في عملها.

أيام حياتك ليست لك، ولا تعرف كم عددها ! ولستَ تدري متى يدركك الموت، لست تدري اليوم ماذا يأتيك به الليل المقبل فمن الآن أسرع قبل أن يسوقك. أَجْرِ لئلا يدركك، أسرع قبل أن يمسكك...

اليوم هو لك أما الغد فلست تدري لمن يكون؟! أنظر إلى النهار ما أسرع ذهابه، فاحرص أن تذهب معه خطاياك. لا تغمض عينيك للرقاد حتى تفتح قلبك للصلاة.

بالعشاء ابتعد عن خطاياك وبالغداة اظهر صلاحك، لا يكن قولك بعيدًا عن عملك. قبل أن تقول تهيأ للعمل، إن تحركت فيك فكرة صالحة، فمن ليلتك ابدأ بعملها واغتنمها، وإن تحركت فيك فكرة الحسنات، فمع طلوع الشمس ابدأ بعمل الصلاح وابتعد عن الشرّ، لا تتعب في شيء ليس هو لك، وتضيع شبابك باطلًا، لا

يكن قلبك مُنشغِلًا عما يغني، عازفًا عن العمل الصالح، تذهب الحياة سريعًا **والموت سريعًا يجيء**. الزمان سريع الذهاب وهو متعجل أن يجوز ما خلا **يوم توبتك** فلا يريد أن يأتي.

في شبابك كنت تقول أتوب !إذا ما كبرت مضى الشباب وجاء الكِبَر، لم تتب، أفنيت شبابك **بأوجاع الشهوات والذنوب**، وعندما كبرت لا ترغب في أن تتوب.

من يوم إلى يوم **تطرد التوبة** وأظنها قد هربت منك. في شبابك قلت أبقى حتى أصنع هواي وأتوب عنه، منها وقد كبرتَ أَطْلُبِ التوبة قبل أن يطلبك الموت **فإن بعد الموت ليس هناك توبة**، الأيام التي مضت تخبرك عن الأيام التي تأتي. الأولى لم تختبِء والأخرى لا تبقى. قد كنت بعيدًا عن يومك، وفجأة أدركك، وها هو مسرع إلى الذهاب كما ذهبت الأيام السابقة. أُنظر إلى نفسك قبل أن يجوز يومك، وٱذكر أن شبابك لن يدوم، **تعبر مثل الظلام ومعها تنقضي حياتك**.

كما أن الصعوبة في بناء بيت ما ليست في وضع الأساس، بل في الارتقاء بالبناء إلى العلو اللّازم. بمقدار ما يزداد البناء ويرتفع، يزداد التعب والكلفة هكذا حال البناء الروحي فإن الصعوبة الأشد ليست في وضع الأساس بل في البلوغ إلى كماله الأقصى.

لا شيء أعلى قدرًا **من خلاص النفس**، فمن أجلها يا إخوتي ينبغي أن نهتم ونستعد كل يوم، ولا نفني زماننا في الاهتمام بالجسد، فإذا جاع الجسد وطلب طعامًا، تذكر أنت أن النفس أيضًا تطلب حاجتها، وكما أن الجسد إن لم يتناول خبزًا لا يستطيع أن يعيش **كذلك النفس إن لم تتغذَّ بالحكمة الروحانية فهي مائتة**.

فَلْنَتُبْ زمانًا يسيرًا ولنملك إلى الأبد... ليكن المزمور كل وقت في فمك ما دام لنا أوان التوبة، فَلْنُدَاوِهِ بالعَبَرات أي بالدموع لأن وقت التوبة قليل ومالك السموات لا نهاية له. نحن **نُطوِّب القديسين** ونتوق إلى أكاليلهم . هل تظنون أنهم كُلِّلوا بغير أتعاب وأحزان؟.

أية راحة كانت للقديسين في هذا العالم؟ بعضهم ضُربت أعناقهم، وآخرون ذاقوا الاستهزاء، دُفعوا للسياط والقيود والحبس، «رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَال وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ...» (عبرانيين ١١: ٣٧-٣٨). وفي سرور احتملوا كل هذه وغيرها إذ كانوا ينظرون إلى الخيرات المحفوظة في السموات «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ». (١ كو٢: ٩).

الويلُ للمتواني لأنه سيطلب الزمان الذي أضاعه عبثًا ولا يجده...

ولنطلب يا إخوتي المُلك الذي لا نهاية له ولا انقضاء، لنطلب ذلك الفرح الدائم فنكون مع المسيح الذي له المجد الدائم الآن وإلى الأبد آمين.

أطلب إليكم يا إخوتي أن نسارع من الآن لنوجد عنده غير دنسين... إذا جاءتك شهوة أو فكر رديء فَٱسْتَلَّ سيفَ التفكر في مخافة الله ليقطع قوة العدو، وليكن لك عِوَضَ البوق الكتب المقدسة، إذ كما أن صوت البوق يجمع الجند هكذا الكتب الإلهية تهتف فتجمع أفكارنا إلى مخافة الله... وأيضًا تنهضك بنشاط وتشجعك على كافة الآلام... لذا يا أخي اغصب ذاتك بكل طاقتك أن تقرأها دائمًا. إذ بسوء حيله أن صارع إنسان الفكر، ولم يستطع ان يقهره حينئذ يأتي به إلى الأحزان ويظلم عقله وذهنه... فإن لم يوجد الإنسان مُستيقظًا يستطيع أن يبتلعه حيًا إلى لهاوية، فإن لم يمكنه بهذه الحيلة يمنحه رفعة وطغيانًا التي هي شرٌّ من كافة الآلام، وهذه تأتي بالعقل إلى عمق اللذات فلا يعرف ضعف طبيعته، ولن يتذكر يوم وفاته .إنه يمشي في الطريق الواسعة تلك المؤدية إلى الهلاك...

لذلك يا أخي تيقظ واحرص دائمًا أن تلتصق بقراءة الكتب الإلهية، لتعلم كيف تهرب من **فخاخ العدو** وتدرك الحياة الأبدية. ثابر على القراءات والصلوات ليستضيء ذهنك ويصير إلى التمام.

يوجد قوم يفخرون بمخاطبة الرؤساء والملوك، فلتفتخر أنت أمام الملائكة إذ تخاطب **الله** بالروح القدس، وبقدر ما تخاطب الله بقدر ما يتقدس جسدك وروحك.

إذا كانت يداك تعمل عملًا ما فَصَلِّ بذهنك؛ فإن **حنة النبية** كانت منسكبة في صلاة قلبية عميقة جدًا.

إذا كنت لا تعرف قراءة الكتب الإلهية فاذهب إلى من هو عالم بما فيها، واستمع إليه فمغبوطون هم الذين يفحصون عن شهادته ويطلبونه من كل قلوبهم. احذر الضجر والقراءة بلا اهتمام لأجل أن يشغلك بأمر آخر ،بل صِرْ كالأَيِّلِ الذي يشتاق أن يأتي إلى عين الماء أي الكتب الإلهية لتشرب منها. لا تهملها بل ردِّدها واكتبها في قلبك واحفظها في ذهنك إذ كنت أتلو في حقوقك وأيضًا «بماذا يقوم الشاب طريقه؟ بحفظه أقوالك. بكل قلبي طلبتك فلا تبعدني عن وصاياك. خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطيء إليك.» (مزمور ١١٨).

من ذا الذي يتذكر أقوال الرب ولا يُقوِّم طريقه، إن مثل هذا يدعو ذاته مسيحيًا لكن **يجحد** أعمال المسيح لذا يأمر أن ينزع منه عمل الرُّوح القُدُس الذي أخذه فيصير بمنزلة إناء نبيذ يرشح كثيرًا فيضيع ما

فيه، والذين يبصرونه يظنون أنه ممتلىء لكن حقيقته فارغ... هكذا ذلك الإنسان عندما تنكشف حقيقته أمام الجميع يوم الدينونة مثل هؤلاء يقولون أليس باسمك صنعنا قوات؟ فيقول لهم إني لا أعرفكم.

تذكر هذه الأقوال التي سمعتها وقوّم طريقك، ولا تدع النسيان يخدرها وينزعها من قلبك... لا تدع **الخبيث** يأكل زرع ابن الله... وليخبىء التعليم الصحيح في قلبك فيثمر بالتقوى. جاوز القراءة مرتين وثلاثًا ومرارًا كثيرة، وأطلب أولًا إلى الله قائلًا: يا ربي يسوع المسيح افتح ذهني وقلبي لأسمع وأفهم وأصنع مشيئتك. اكشف عن عيني فأتأمل عجائب شريعتك... أطلب إليك يا أخي لا تزعم إنك حكيم وتفهم ما هو مكتوب... فإن كلمات الله كالفضة المحماة سبعة أضعاف، وليس فيها عيب بل هي مستقيمة للذين يفهمون.

كما أن السيف يقطع عصب الفَرَس ويلقي رَاكِبَهُ، هكذا العزم الرديء يقطع قوى النفس ويدفعها إلى الحزن.

من هو الذي يريد أن يمضي إلى مدينة مسافتها خمسون غلوة فيمضي تسعة وأربعين غلوة وتنقصه غلوة واحدة. هل يقول إنه وصلها؟ لأنه قد خرج من عند أهله وموطنه ؟!.

يوجد من يترك موضعه لأجل الفضيلة، وآخر لالتماس البطالة وعدم الخضوع.

يوجد من يبحث عن الحكمة وآخر يبغي كثيرًا التسبيح الباطل.

يوجد من يخضع ويطيع من أجل وصية المسيح، وآخر لأجل فائدة **دنيئة**.

يوجد من يمدح قريبه لأجل وصية المسيح، وآخر لأجل استرضاء الناس.

يوجد من يدفع ذاته لأجل وصية المسيح، وآخر يثلب قريبه لأجل نهم البطن.

يوجد من يعمل كثيرًا من أجل الصدقة، وآخر من أجل **محبة الفضة**.

يوجد من يعمل في غير وقت العمل، وفي وقت العمل لا يعمل.

يوجد من يسبح وَيُعْلي صوته، وفي وقت التسبيح يسكت أو يكلم قريبه في الباطل.

يوجد من يسهر باطلًا، وفي وقت السهر ينام.

إن قلوب الناس مكشوفة لدى الله، بدء السيرة الصالحة الدموع في الصلاة واستماع الكتب الإلهية، ربوات كُتُبٍ في أذن الجاهل تُحسب لا شيء **ومن هو الجاهل إلَّا المتهاون بمخافة الله**، فإن قلب الحكيم يقبل الوصايا بأوفر حكمة.

لا تقاوم الشرّ بالشرّ (متى ٥: ٣٩)، لا تمنع شيئًا عن أحد لئلَّا تُلام إذا هلك، لا تتلون في احترامك للناس حسب المقتنيات، لتكن كل الأشياء عندك كأنها غير موجودة والله وحده هو الموجود، إذا سألت قريبك ولم يعطك ما تريد فاحرص لئلَّا تخرج كلمة غضب من فمك تقطر مرارة، لا تقاوم الدوافع الصالحة لأن تغيرات ميول النفس كثيرة، ابعد الأسى عن جسدك والحزن عن فكرك (جا ١١: ١٠) إلَّا ما يتعلق بخطاياك وهذا كفيل **أن يجعلك في حزن مستمر**. لا تكف عن العمل حتى ولو كنت غنيًا **لأن الكسول يُكثر ذنوبه بكسله**.

وَلا تُكثِرْ عَلى ذِي الضِغنِ عَتبًا
وَلا ذِكــرَ التَجَــرُّمِ لِلـذُنـوبِ
وَلا تَسأَلـهُ عَـمّـا سَـوفَ يُبدي
وَلا عَـنْ عَيْـبِهِ لَـكَ بِالمَغيـبِ
مَتى تَـكُ فـي صَـديقٍ أَو عَدُوٍّ
تُخَبِّرْكَ الوُجـوهُ عَنِ القُـلوبِ

أيتها الأرثوذكسية، تعصف بكِ آلاف الأرياح، وتحاربك آلاف القوات المظلمة وتثور، تريد اقتلاعك من العالم وتكافح لانتزاعك من قلوب الناس. أرادوا أن يجعلوا منك أملًا مفقودًا، متحفًا وماضيًا مأساويًا وتاريخًا مَرَّ عليه الزمن وانتهى.

إلَّا أن الله القدير، الثالوث القدوس المُحسن الكليّ الوداعة والحكمة، هو الذي يسيطر على هٰذه الفوضى، ويرميك في زاوية أبعد ما يمكن عن التوقع، ويغطّيك كوردة تحت صخرة. إنه يحافظ عليك في نفوس أبسط الناس، الذين ليس لهم أية سلطة أو معرفة دنيوية. وها أنتِ باقية حتى اليوم.

ها أنت لا تزالين حيّة موجودة تغذّين الأجيال الناشئة، وتفلحين كل بقعة جيدة من الأرض، وتوزعين قوة وحياة وسماءً ونورًا وتفتحين للناس أبواب الأبدية.

القديس نكتاريوس – أسقف المدن الخمس

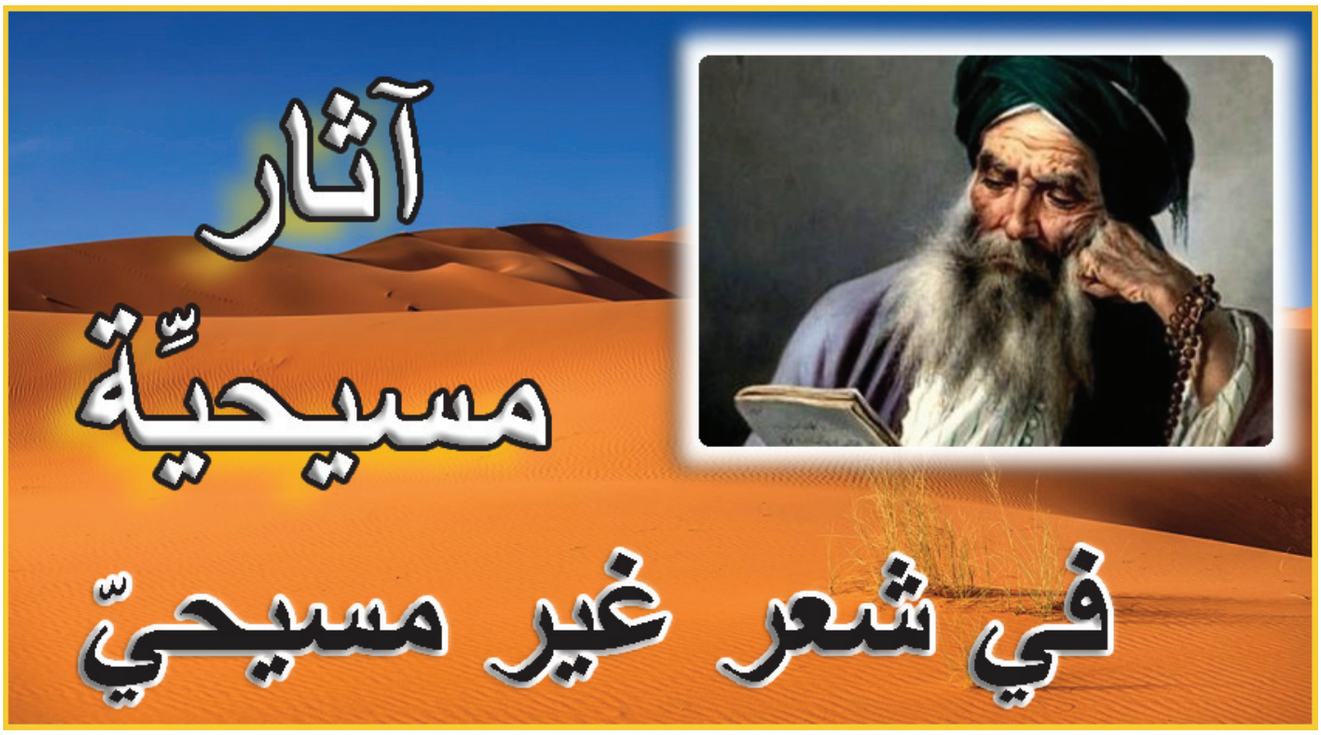

ليت بحور الشعر العربي التي انتهيت من مراجعتها قبل أسبوعين، بعد استحداث بَحْرَين لها، اتسعت لتغطّي جميع الآثار الشِعريَّة العربية الحافلة بالتقاليد المسيحية، ممّا ترك لنا شعراء من غير المسيحيِّين وغير النصارى، من الجنسَين، سواء القدامى منهم والجدد. آثار وُظِّفت فيها الرموز المسيحية في أغراض شِعريَّة عدّة كالوصف والمدح والمناجاة والتشكّي. ولقد قام **الأب لويس شيخو اليسوعي** بجمع عددٍ كبيرٍ من الأمثلة على اعتماد العرب ألفاظًا نصرانية في آدابهم وأسماء شخصيّة وجغرافية من الكتاب المقدّس، بالإضافة إلى الحِكم والأمثال المفعمة بها آياته. ذلك في كتابه «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة» ذي الجزأين [1] وفي كتابه «شعراء النصرانية» ذي الثلاثة أجزاء؛ ضمّ الأوّل منها ستّة أجزاء للفترة ما بين القرن الخامس الميلادي **وبداية العصر الأموي**، بينما تناول في الثاني **شعراء الدولة الأموية** وفي الثالث **شعراء الدولة العباسية**. فتقفّى آثار **قبائل عربية نصرانيّة وآثار شعراء كثيرين خرجوا منها**، لعلّ أهمّهم شعراء المُعَلَّقات، نقلًا عن كتب إسلاميّة أدبيّة وتاريخيّة تعود تواريخ بعضها إلى **القرن الهجري الثاني**. ومن المؤسف أن عددًا من تلك الكتب لم يصلنا لأسباب عدّة، منها تأثيرات عوامل البيئة والمناخ ومنها الضياع **والإخفاء عمدًا**، أو حرقًا لأنّ أصحابها **حُكِمَ عليهم بالموت** بتهمة **الزندقة**. والزندقة في الإسلام تقابل الهرطقة في المسيحيّة. **ومعلّقة عمرو بن كلثوم التغلبي** من الأمثلة على ضياع ما قيل قبل الإسلام وما كُتِب ممّا زاد على ألف بيت، وصلنا منها حوالي مئة وعشرين بيتًا ولم يذكر أحد سبب ضياع غالبيّة القصيدة، **إذ خرج الشاعر من قبيلة تغلب المعروفة بنصرانيّتها والثابتة عليها زمنًا طويلًا بعد الإسلام** .

لا لعقوبة الموت

ومن المؤسف جدًّا توجيه **عقوبة الإعدام** ضدّ شخص، على أفكاره وأقواله، على أدب وفنّ وإبداع، على مقالة وشِعر، على رسم وأغنية، أيًّا كان جنسُهُ وعِرْقه ومعتقده الذي فيه معارضة لدِين ما، شكليّة أو ضمنيّة أو صريحة، سواء أكان هرطوقيًّا أم زنديقًا. وكاتب هذه السطور قد دعا في أكثر من مقالة إلى إلغاء **عقوبة الموت، أو الإعدام** أيًّا كانت أسبابها، مُفضِّلًا دراسة كل قضيّة جذريًّا وخضوع المتّهم إلى تحقيق محترم ومحاكمة علنية عادلة، هذا ما لم يكن القضاء نفسه عبثيًّا **وما لم يكن القضاء نفسه في قفص الاتّهام، ولا سيّما القضاء الديني، أو القضاء المستند الى أحكام الدين**، وليس إلى أحكام حقوق الإنسان المتفق عليها عالميًّا، وخصوصًا قضاء دولة موقّعة على احترام حقوق الإنسان في العيش الكريم وَتَبِعَاته، **كاحترام حريّة الرأي والتعبير واختيار الدِّين والمذهب!** والهدف هو إيجاد الوسيلة المناسبة لإصلاح أي خلل في المجتمع ومنع تكرار حصوله في المستقبل. أمّا قتل الجاني الذي ثبتت عليه التهمة فلا يُصلِح الخلل الذي أدى إلى حدوث الجناية، لأنّ الواقع أثبت بقاء الخلل بدون علاج، وبرهن على تكرار الجناية عبر التاريخ. وأمّا البدائل عن **حُكم القتل** فكثيرة، لكنّ المهمّ في أيّ بديل هو أن يكون رادعًا ومُصْلِحًا ومحافظًا على كرامة الجاني في الوقت ذاته. ولنا في المجتمع النرويجي خير مثال، سواء أهالي الضحايا والشرطة والقضاء؛ إذ استمرّت جلسات محاكمة المتهم (**أندرس بريڤيك**) **بقتل سبع وسبعين ضحيّة نرويجيّة حوالي السنة** قبل صدور حكم المحكمة بعقوبة حبسه إحدى وعشرين سنة، هي أطول مدّة حبس في النرويج، بعد تأكد المحكمة من صحّته العقليّة، علمًا أنّ المحامي عنه أعلن لوسائل الإعلام أنّ موكّله لا ينوي استئناف الحكم. أمّا ما يُشاع عن **الحروب المسيحيّة ومحكمة التفتيش عن الهراطقة وأحكام الموت** التي واجهوها فلا وجود لأيّ نصّ مقدّس ليبرِّرها في العهد الجديد، بل العكس، إذ قال الرب يسوع: «وأمّا أنا فقد أتيت لتكون لهُمْ حياة وليكون لهُمْ أفضل» (يوحنّا ١٠:١٠) ولم تُخجلني الإشارة إلى الأحكام الإلهية القاسية والعنيفة **في**

العهد القديم، إنما ألقيت ضوءًا عليها في معرض مقالة بحر المنسرح، مُركِّزًا على أسبابها وظروفها الخاصّة مكانيًّا وزمانيًّا.

مثالًا من العصر الأموي: غيلان الدمشقي

ما كان في نيّتي الابتعاد عن محور المقالة الأساسي لولا ارتباطه جوهريًّا بمحورين آخرين، هما **ضياع بعض الآثار وقتل أصحابها**. فإن كان في الإمكان **قتل** الجسد، **فالفكر** لا يستطيع أحد قتله ولا دفنه، لأن أثره الذي في النفوس لا يُمحى مهما طال الزمن. وإلّا لمَا بقي أثر لشيء ولمَا وصل إلى زماننا ومكاننا. فمن الأمثلة على الضياع المذكور؛ **رسائل غيلان الدمشقي (ت ١٠٦ هـ)** التي قال عنها **ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ)** في كتابه «الفهرست» أنها «بلغت ألفي صفحة» وقد اعتبَرَ أحَدُ الكتّاب المغاربة **غيلان** أنّه (مؤسس الفكر الديمقراطي في التاريخ الإسلامي) وقد (اشتهر غيلان بين جيرانه ومعاصريه بصلاحه وتقواه وورعه. ويُعدّ من أعلام الوعّاظ والخطباء والكتّاب البلغاء، وضَعَهُ العلماء والمؤرخون في الطبقة الأولى من الكتّاب، كابْنِ المقفّع وغيره) . عِلمًا أنّ **غيلان** : ولد وعاش في مدينة دمشق التي نُسب إليها، وارتحل في طلب العلم، فدرس على يد الحسن بن محمد بن الحنفية في المدينة، ودرس الفقه على الحسن البصري في البصرة. عاش غيلان في دمشق في زقاق فقير بقرب أحد أبواب دمشق اسمه باب الفراديس، ويقول يوسف زيدان: أظنه كان مُحاطًا هناك بمناخ مسيحي عتيد).

وقد عُدّ أبرز أعلام الفكر والأدب في العصر الأموي وممّن ضاع أغلب تراثهم، ومن الذين اتهِموا بالزندقة، **فقُتِل** صَلبًا بأمر **من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك**.

مِثالًا من العصر العباسي الأوّل: بشار بن بُرد

برز بين **نهاية العصر الأموي وبداية العباسي الشاعر الكبير بَشّار بنُ بُرْد**، وهو فارسيّ الأصل، وضرير منذ ولادته وقد (روى عن نفسه أنه أنشد أكثر من **اثني عشر ألف قصيدة**، لكن ما وصل إلينا من شعره أقلّ ممّا روى بكثير، أو يعزو بعض الرواة سبب قلّة ما وصل الينا إلى قيام الرقابات الدينية والسياسية والاجتماعية في عصره بحذف شعر كثير له، لأنه اتّهِمَ بالزندقة في معظمه، فقُتِل ضربًا بالسياط بأمر من الخليفة العبّاسي المهدي – بتصرّف). عِلمًا أن **الخليفة المذكور هو الثالث في الدولة العباسيّة**، وأكثر مَن قرأت عن **الخلفاء العباسيّين الذين لاحقوا المرتدين وقتلوا الزنادقة، متشدِّدًا في تقصّي الزندقة وفي منع الشعر الغزلي**، بحسب شارح ديوان بشار– الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور (من تونس، ت ١٩٧٢) الذي تقصّى الحقائق عن **الشاعر بشّار بن برد**، فجمع أخباره في مقدمة ديوانه، الجزء الأوّل منه وقد وقع في أربعة أجزاء، منتهيًا إلى براءة بشّار من تهمة الزندقة، بل ألصِقت به من عدد من خصومه، إذ (لم يبق أحد من أشراف البصرة إلّا مُنِيَ بشيء من **هجاء** بشّار أو اتّقى هجاءَه، فكانت حياته أثقل شيء على الناس، ولم يكن له بها صديق) حتى استبعد نسب البيتين التاليين، من بحر الكامل، لبشّار معنىً ولفظًا وإنْ وردا في رسالة الغفران **لأبي العلاء المَعَرّي**، كما استبعد تُهَمًا أخرى عنه والتمس له العذر في بعضها كالشعوبيّة وقد (ظهرت بوادرها في العصر الأموي، إلّا أنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي. وهي حركة مَن يرون أنْ لا فضل للعرب على غيرهم من العجم. وقد تصل إلى حدّ تفضيل العجم على العرب والانتقاص منهم...) انتهى. أمّا البيتان:

إبليسُ أفضلُ مِن أبيكُمْ آدَمٍ فتنبَّهوا يا معشرَ الفُجّارِ
الـنـارُ عُنصرُهُ وآدَمُ طِـينـةٌ والطِّين لا يسمو سموّ النّارِ

مِثالًا من العصر العباسي الثاني: الحلّاج

إنّ **شعر الحَلّاج هو بيت القصيد في هذه المقالة**، إذا جاز التعبير، فإن ضاعت غالبيّة آثار **عمرو بن كلثوم وغيلان وبشار وابن الراوندي** (٢) وغيرهم فإن آثار الشاعر المتصوّف الحسين بن منصور الحَلّاج (ت ٩٢٢ م \ ٣٠٩ هـ) قد استحقّت وقفات وتأملات ومقالات ومسرحيات وقصائد وأغنيات من شعره، من كبار أدباء القرن الماضي وفنّانيه وإن قلّ ما وصلنا من آثاره (أمّا أتباعه فقد قدّسوا أقواله وأكّدوا نسبتها إليه، لكنهم قالوا أنّ لها معانيَ باطنة غير المعاني الظاهرية، وأن هذه المعاني لا يفهمها سواهم. بينما جنح المستشرقون إلى تفسيرات أخرى وجعلوا منه بطلًا ثوريًّا شبيهًا بأساطير الغربيين... إلخ). عِلمًا أنّ من الغربيّين مَن لقّبه **بمسيح الإسلام**! لكنّ آراءه الفلسفية ونظرته الى العلاقة ما بين الإنسان وخالقه هُما وراء اتّهامه بالزندقة، نظرًا لسوء فهم معاصريه من الفقهاء وما أكثر مَن اختلفوا على **آراء الحلّاج** إلى يومنا! فقضى فترة من الحبس والإهانة والتعذيب ثمّ **قُتِل صَلبًا بأمر من الخليفة العباسي المقتدر بالله**. ومن الأمثلة على المعاني الباطنة في **شعر الحلّاج** قوله التالي الذي حفظتُ منذ قراءتي مجموعة صغيرة من شعره، التي صدرت في العراق خلال الربع الأخير من القرن الماضي. فلو وُجِدَ ما يمتّ إلى الكفر بصِلة، لمَا طُبِعَتْ هناك ولما نُشِرتْ ، كفرتُ بدين الله والكفرُ واجبٌ ، عَليَّ وعند المسلمين حرامٌ.

والبيت من وزن بحر الطويل. لكنّ مِن **معاني الكفر** في قاموس لسان العرب ما لا يعني الكفر المعروف: (**يقال للابس السلاح كافر وهو الذي غطّاه السلاح، مِثله رَجُلٌ كاسٍ أي ذو كُسْوَة. وكل مَن ستر شيئًا فقد كَفَرَه وكَفَّره. والكافرُ: الزرّاعُ لستره البذر بالتراب. والكَفْرُ، بالفتح: التغطية. وكَفَرْتُ الشيء أَكْفِرُه، بالكسر، أي سَتَرْتُه. والكافِر: الليل، وفي الصّحّاح: الليل المظلم لأنه يستر بظلمته كل شيء. وكَفَرَ الليلُ الشيءَ وكَفَرَ عليه: غَطَّاه. وكَفَرَ الليلُ على أثَرِ صاحبي: غَطَّاه بسواده وظلمته. وكَفَرَ الجَهلُ على عِلم فلان: غَطّاه. والكافرُ: البَحْرُ لسَتْرِه ما فيه**) انتهى.

ويبدو جليًّا أن ما تقدّم من معنىً للكفر (أي التغطية أو السّتر) هو بالضبط معنى المغفرة؛ إذ يمكنك مراجعة «**غفر**» في لسان العرب ذاته: (**أصل الغَفْرِ التغطية والستر. والغَفْر: الغُفْرانُ. وقد غَفَرَه يَغْفِرُه غَفرًا: سَتَرَهُ. وكل شيء سَتَرْتهُ فقد غَفَرْته. وتقول العرب: اصْبُغْ ثوبَك بالسَّوادِ فهو أَغْفَرُ لوَسَخِه أَي أَحْمَلُ له وأَغطى له. ومنه: غَفَرَ اللهُ ذنوبَهُ أي سَتَرَها**) انتهى.

فليت أهل التخصص في اللغات الحيّة يحكمون بوجود قصور والتباس في لغة ما بقدر ما وُجِدَ منهما في اللغة العربيّة.

الحَلَّاج يموت مسيحيًّا

إنّ **سيرة الحَلَّاج** مذكورة في كتب إسلامية عدّة وفي مواقع الكترونية كثيرة، منها «ويكيبيديا» الموسوعة الحرّة التي نقلتُ عنها ما تقدّم من سيرته، **(كاتب المقال)** ومنها «**المعرفة**» التي أقتطف منها التالي من **أخبار الحلَّاج** – بتصرّف: (قال ابن باكَوَيْه: دخل الحسين بن منصور الحلاَّج مكة، فجلس في صحن المسجد لا يبرح من موضعه إلَّا للطهارة أو الطواف، لا يبالي بالشمس ولا بالمطر، فكان يُحمَل إليه كلَّ عشية كوزٌ وقرصٌ «ماء وخبز» فيعضُّ من جوانبه أربع عضّات ويشرب).

وعن مقتله: نُسب **الى الحلَّاج** القول: «**إن الإنسان إذا أراد الحجّ، أفرد في داره بيتًا، وطاف به أيام الموسم، ثم جمع ثلاثين يتيمًا، وكساهم قميصًا قميصًا، وعمل لهم طعامًا طيّبًا، فأطعمهم وخدمهم وكساهم، وأعطى لكل واحدٍ سبعة دراهم أو ثلاثة، فإذا فعل ذلك، قام له ذلك مقام الحج**» **فأحَلّ دمَهُ القاضي أبو عمر محمد بن يوسف المالكي**. وأُقيمت عليه البيّنة الشرعية، وقُتِل مرتدًّا سنة ٣٠٩ هـ. وكان قرار **الخليفة المقتدر بالله العباسي** في شأن **منصور الحلَّاج**: «**إذا كانت فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضِره مجلس الشرطة وأضربه ألف سوط، فان لم يمت فتقدّم بقطع يديه ورجليه ثم اضرب رقبته، وانصب رأسه واحرق جثّته**».

ويوم مقتله وبينما **كان الحلَّاج مشدودًا** على الصليب الخشبي **وقُبَيل حَزِّ رقبته**؛ نظر إلى السماء مناجيًا رَبّه:

نحْنُ بشَواهِدِكَ نلُوذُ وبِسَنَا عِزَّتِكَ نستضيء، لِتُبْدِي لَنا مَا شِئْتَ مِن شَأنِكَ. وأنتَ الذِي في السَّماءِ عَرْشُكَ، وأنتَ الذِي في السَّمَاءِ إله وفي الأرض إله، تتَجَلَّى كمَا تَشَاء، مِثلَ تجَلِّيكَ في مَشِيئتِكَ كأحْسنِ صُورَة، والصُّورَةُ هِيَ الرُّوحُ الناطِقة الذِي أفرَدْتَهُ بالعِلم والبيَان والقُدرَة. وهؤلاء عِبَادكَ قد اجْتَمَعُوا لِقتلِي تعَصُّبًا لدِينكَ وتقرُّبًا إلَيْكَ فاغْفرْ لَهُمْ! فإنّكَ لَوْ كَشَفْتَ لَهُمْ مَا كَشَفْتَ لِي لمَا فَعَلُوا ما فَعَلُوا. ولو سَتَرْتَ عَنِّي مَا سَتَرْتَ عَنهُمْ لمَا لَقِيتُ ما لَقِيتُ. فلَكَ التقديرُ فِيما تفعَلُ ولَكَ التقدِيرُ فيما تُرِيدُ) انتهى.

لكنّ ما خفِيَ كان أكبر بكثير ولا شكّ لديّ في وجود أحقاد دفينة يومذاك **في صدور الفقهاء والقضاة** على **فلسفة الحلَّاج**، إذ لا يُعقَل أن كان ما تقدّم سببًا كافيًا لقتله، وبتلك الطريقة البشعة. أمّا **مناجاة الحلَّاج** فلعلّها تُذكّر القارئ/ ـة بالتالي:

١) قول **الحلَّاج عن الله**: «وأنتَ الذِي في السَّمَاءِ إله وفي الأرض إله» يدلّ على إيمان الحلَّاج الواضح بعقيدة مسيحيّة راسخة هي تجسّد إله السّماء بشخص السيّد المسيح له المجد .

٢) قوله وهو مصلوب «فاغْفرْ لَهُمْ» ليس قولًا عاديًّا ولا قاله سواه من المسلمين الذين تمّ صلبهم من قبل، إنّما هو من الأقوال السبعة للسيّد المسيح أثناء صلبه. وهو يُشبه أيضًا **قول الشمّاس استيفانوس أثناء رجمه بالحجارة حتى الموت وهو شهيد المسيحيّة الأوّل** {يا ربّ، لا تحْسُبْ عليهم هذه الخطيئة} – أعمال الرُّسُل ٧:٦٠ علمًا أنّ الصَّلب، على أيّة حال ممّا تقدّم، ليس دليلًا على اعتناق المصلوب المسيحيّة، إذ صُلِب قبْل **الحلَّاج** الوزيرُ جعفر بن يحيى البرمكي **بأمر من الخليفة هارون الرشيد**، بالإضافة إلى **غيلان الدمشقي** المذكور أعلى وغيرهما. لكنّ الصلب قد يصلح حافزًا للبحث عمّا وراء الحكم به، في عصور أخبر التاريخ عن قتل الزنادقة بطرائق أخرى. إليك في التالي من **شِعر الحلَّاج** بعض المعاني ممّا خفِيَ عن أتباعه، أو أنّ أحدًا من الأدباء العرب، القدامى أو الجدد، أدركها لكنّه لم يجرؤ على ذِكرها وتصديقها، بالإضافة إلى ما أشرت إليه في ما ورد من مناجاته. قال الربّ يسوع: «مِن ثمارِهِمْ تعرفونَهُمْ» فلا حاجة إلى البحث عن اعتراف علنيّ **للحلَّاج** باعتناق المسيحيّة، لأنّ ثمار شِعره الطيّبة قد ترجمت اعترافه لأهل المعرفة وأهل البحث العِلمي! أمّا الأهمّ هو أنّ الله أعلم بما كان في صدره. فمن الأمثلة على شعره الحافل بالمسيحيّة هو التالي **(٣)** وفيه أنّ **الناسوت أظهر سرّ اللاهوت**.

سُبْحانَ مَن أظهَرَ ناسوتُهُ سِرَّ سَنا لاهوتِهِ الثّاقبِ
ثم بَدا في خَلْقِهِ ظاهِرًا في صورة الآكِلِ والشّارِبِ
حتّى لقد عَايَنهُ خَلْقُهُ كلحْظَةِ الحاجبِ بالحاجبِ

والناسوت واللاهوت كلمتان لا وجود لهما في القواميس القديمة ولا قرأت أيًّا منهما في ديوان شاعر عربي سبق الحلَّاج؛ الأولى مشتقة من «**ناس**» والثانية مشتقة من «**إله**» لكن الباحث الجادّ يجد معنى كل منهما عند المسيحيّين.

ولا بأس في شرح معناهما للقارئ/ ـة العربي/ ـة باختصار. **فالناسوت**– بحسب اعتقادي: تعبير عن الطبيعة الإنسانيّة للسيّد المسيح وهي طاهرة من أيّ خطيئة ودنس وخالية من أيّ عيب وشائبة، وكاملة كمال الله بدون أيّ نقص ماديّ أو معنوي. **واللاهوت**: تعبير عن الطبيعة الإلهيّة للسيّد المسيح الفيّاضة نورًا ونعمة وحكمة والتي بها صنع المعجزات الكثيرة والمتنوّعة وأعطى سلطانًا لأتباعه، كي يفعلوا مثلها بقوّة الرّوح القدس. أمّا اللاهوت كعِلم فهو عِلم الله. أي (العلم الذي يبحث في ماهيّة الخالق وصفاته وعلاقاته مع مخلوقاته) .

---

١ راجع/ي القسم الثاني من الكتاب حول الألفاظ النصرانيّة في لغة العرب ص ١٥٧ والأعلام النصرانية ص ٢٣٩ وما نقل العرب من أحداث الكتاب المقدّس ص ٢٥٤ والأمثال العربية المنقولة عن الأسفار المقدسة ص ٢٨٣

٢ **ابن الراوندي** (ت ٩١١ م \ ٢٤٥ هـ) فيلسوف يهوديّ الديانة من قرية راوند الواقعة بين إصفهان وكاشان في فارس؛ ولد عام ٢١٠ هـ، أسلم ثم ألحد في آخر حياته. عُدّ من أعلام المعتزلة قبل تركهم وقبل اتهامه بالزندقة. لم يصل إلينا من آثاره سوى كتابين أو ثلاثة من بين حوالي عشرين كتابًا وما نقل عنه خصومُه أو ما نسَبَ إليه المعجبون به.

٣ ترقّب/ي نماذج أخرى من شعر الحلّاج مع شرح الكاتب في الجزء الثاني من المقالة.

الروحانية الأرثوذكسية

امتياز متبادَل بين الحياة الحاضرة والآتية

الأب د. جورج ميتيلينوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

إن عبارة «الحياة الروحية»، ضمن **إطار الكنيسة الأرثوذكسية**، تشير إلى حقيقة محددة، وطريقة حياة ملموسة ومفهومة وواضحة. ليست هي مدينة فاضلة غامضة ولا مثالية بدون أساس، أو محصورة في حدود التأمّل والخيال. تتضمّن هذه الروحانية الأرثوذكسية مادية وواقعية ضمن واقع محدد لطريقة حياة، **طريقة أبدية للوجود** دخلت التاريخ وصارت حقيقة دنيوية أرضية من خلال **تجسد الإله–الكلمة ربنا يسوع المسيح**. لا يمكن تصوّر الحياة الروحية المسيحية إلّا إذا كانت بالواقع مرتكزة **على التجسد الإلهي**.

لم يكن هدف تجسد ابن الله مجرّد تحسين الواقع البشري، بل إصلاحه وتحويله. لقد هدف إلى «**عالم جديد**» **كحقيقة إلهية - بشرية**. بحسب آباء الكنيسة الأرثوذكسية، لقد أصبح **الإله إلهًا–إنسانًا *(theanthropos)*** لكي يجعل حياتنا إلهية–بشرية.

التقليد الأرثوذكسي هو الجهاد لمتابعة الحياة الجديدة بالمسيح وفي المسيح، تلك الحياة التي دخلت إلى العالم، من قِبَل البشر الذين سوف يحققون العلاقات الاجتماعية والأخوية. هذا يتحقق في كل جيل على مثال الآباء الإلهيين القديسين. يُعبَّر عن الأرثوذكسية بشكل أصيل بآبائها القديسين، ووحدهم يمكن اعتبارهم الشهادات الصالحة عن حياتها. إن خبرتَي التقليد الأرثوذكسي والآباء متشابهتان وتشكّلان، ليس نقلًا آليًا لتعليم مُصنّف، بل الاستمرارية الشخصية في عالم الحق المتجسّد، في الإطار الزمني لكل حقيقة محددة (حضارة، ثقافة، وضعية سياسية واجتماعية).

هذا يحملنا إلى الاستنتاج بأن، بالنسبة لنا جميعًا كأرثوذكسيين، عبارات الحق والعدالة والسلام والمساواة والأخوّة، ليست مفاهيم إيديولوجية ولا قضايا أخلاقية. إنها طريقة محققة للوجود إزاء يسوع المسيح والآباء القديسين، والأنبياء وآباء وأمهات كل العصور. إن جهادنا لتحقيق هذه المفاهيم في حياتنا لا يستند إلى نيتنا الصالحة وتصميمنا على الجهاد، بل بشكل أساسي على أعمال القدرة الإلهية.

إذًا، الروحانية الأرثوذكسية ليست مجرد باطنية (تطور ثقافي أو ما شابه) بشرية المركز، ولا هي روحانية مثالية ولا هي حتى تَدَيُّنًا. **إنها المشاركة الشخصية في الحياة الإلهية** التي تصبح حقيقة أرضية لكن لا يمكن تحقيقها من خلال القدرة البشرية وحدها بدون تدخل الله.

الروحانية هي حياة وجهاد في الرُّوح القُدُس وهي تتماهى مع كامل حياة الكنيسة التي كجسد، ضمن تقليدها يتجنّد الإنسان لِيَنْشُدَ الخلاص.

يأخذ جهاد الإنسان في الانتماء الكامل لهذه الجماعة تعبيرًا نضاليًا ثوريًا محضًا. إن ثورة المسيحي هي **النسك كممارسة روحية؛ ثورة ضد الطبيعة الاستقلالية الميتة**، حتى «تتلقّح» **بحياة المسيح مع قيامته**، إنها عصيان ضد أنفسنا نحن الذين نحيا **ضمن حدود الموت والفساد**. لماذا؟ **الخلاص من الفساد والموت** هو نعمة الله، عطية من الله غير المخلوق لخليقته. إنه ليس إنجازنا وليس مأثرة لطبيعتنا. إنه ممنوح عندما يبلغ الإنسان إلى حالة من الوجود، فيها تتحرّر الطبيعة من عبودية الضرورات التي تكوّن **الاستعباد للموت والفساد**. لا يكتمل هذا السياق القيامي بدون عنف. كلمات المسيح ثورية بالحقيقة: «جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ» (لوقا ١٢:٤٩)، «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا.» (متى ١٠:٣٤)، «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ» (متى ١١:١٢).

كيف تُفهَم هذه الكلمات؟

إن اغتصاب طبيعتنا ضروري بالمطلَق لقهر استعبادنا الداخلي الذي يؤدّي **إلى كل أشكال العبودية الخارجية**. إن تجربتنا هي في الجهاد لأن ننكر «إنساننا العتيق» (روما ٦:٦). يجب أن تعتاد **إرادة الإنسان** على **مقاومة مؤسسة الخطيئة التي يشكلّها الموقف الأناني نحو الناس والعالم. كوننا داخل خطيئتنا، في حياة الموت التي نسلكها**، نحن نواجه كل الأمور كأشياء محايدة خاضعة لحاجاتنا ورغباتنا. فلنتأمّل في استغلال العالم والناس، التلوّث البيئي، إنتاج الأسلحة الذرية المستعملة في سباق القوى العظمى نحو التفوق بالقوّة. الإنسان المخلِص للمسيح يصارع طبيعته الأنانية من خلال الحرمان الطوعي والتعهد التلقائي لضبط الجسد، لكي يصل إلى التحرُّر الخارجي. إنه يستقيل من نزعة الخضوع لكل شيء، ويتعلم محبة العالم وتحقيق وحدته معه، وكشف حَتْمِ قوة الله الخلاّقة في كل مخلوق بذاته، واستعمال العالم بطريقة ترضي الله، كليتورجيا مستمرة وإشارة إلى الله. من خلال التجارب والصعوبات، وهي تمرين روحي، يصل الإنسان إلى الشركة الأصيلة حيث تصبح الحياة تجاوزًا ذاتيًا للمحبة.

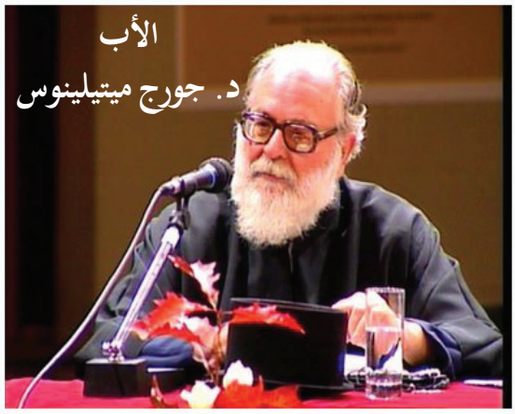

الميزة الثورية المحرِّرة نفسها موجودة، بداعي الضرورة، في الألم الذي يشكّل انتهاكًا لمعنى الحياة «كبقاء شخصي» و «تقدمة ذاتية من المحبة لإخوتنا البشر». إن طريقة الوجود الفردية تتحوّل إلى شركة شخصية من المحبة من خلال النُّسْكِ. لهذا السبب **ربطت الأرثوذكسية بالنسك الطوعي** معتبرة التجارب «عذاب الضمير». إن انتهاك الطبيعة موجود في كليهما لكي يُفعّل شركة المحبة.

إن الروحانية الأرثوذكسية هي بالتحديد هذا الصراع من أجل هذا اللقاء المحرِّر بين **غير المخلوق والمخلوق**. في أي حال، لا يستطيع أي إنسان أن «يعرف» غير المخلوق بالمنطق بل، بالأحرى من خلال وجود غير المخلوق في المخلوق وسكناه فيه. إن **غاية التقليد الأرثوذكسي** هي دفع الإنسان في الاتحاد مع الله أي **التألّه**. تتطلّب هذه الغاية مُسبقًا وجود أداة هي القلب. نحن نقبل عادةً أن جريان الدم في جسمنا هو الهدف الوحيد للقلب، وبالتالي نعتبر الدماغ والجهاز العصبي هما مركز إدراكنا لذواتنا. مع ذلك، في التقليد المسيحي الصحيح، القلب هو مكان الشركة مع الله. يسمي **الآباء** قوة النفس التي تنشط في القلب «فكرًا». الفكر، في هذه الحالة، لا يساوي المنطق. وفوق هذا، يُسمّي الفكر أيضًا صلاة القلب (الصلاة العقلية) التي تكمن في تنشيط الفكر في القلب. تصبح هذه الوظيفة الصلاتية بلا انقطاع (١تسالونيكي ٥:١٤) عندما يتطهّر القلب ويحصل على نعمة الرُّوح القُدُس.

إن سكون القدرة النوسية (لا المنطق) هو **جوهر سقوط الإنسان**. إن عدم العمل أو العمل الجزئي لهذه القدرة الفكرية، وتشوشها مع وظيفة العقل أو الجسد، يستعبد الإنسان في الإجهاد والمادية مركِّزًا اهتمامه على جسده. بهذه الطريقة، **يعبد الإنسان الخليقة دون الخالق**، والنتيجة المباشرة هي تفكيك أصالة علاقاته الفردية، **المواقف العدائية في المجتمع، تأليه الذات وعبادتها، واستغلال الله والناس لتأمين السلامة الذاتية والسعادة.**

بعد شفاء مرض القلب يعود الإنسان إلى اجتماعيته الصحيحة. يكتسب القلب النقي استنارة الرُّوح القُدُس. في هذه المرحلة، تصبح محبة الإنسان لذاته محبة منكرة للذات من الله. بدون الاستنارة من الله لا تستطيع محبتنا أن تتخطّى موقفنا الأناني ونقصنا. تبقى محبتنا ناقصة وزائفة. **بالاستنارة** يصبح الإنسان هيكلًا للرُّوح القُدُس معافًى وروحيًا.

في **المصطلحات اللاهوتية الأرثوذكسية** تُسمّى عملية إعادة تفعيل الوظيفة النوسيّة في القلب «شفاء الوجود البشري» وهي عمل الكنيسة الأساسي. إن هذا هو غاية حضور الكنيسة في التاريخ كما أعطاه المسيح: **استرجاع الشركة بين الله والإنسان في القلب.**

في الأرثوذكسية، لا يؤجَّل الشفاء، أي استعادة علاقات الله بالإنسان إلى ما كانت عليه، إلى الحياة الآتية أي بعد الموت. إن الشفاء يُنجَز في التاريخ. المؤمن، من خلال وجود عمل الله في داخله، يصبح «هيكلًا لله» ويمتلك الأبدية ضمن الحقيقة الأرضية فيعيش في ما بعد التاريخ كما في التاريخ. إنه يصير إنسانًا سماويًا كالقديسين. **القديس**، بحسب الأرثوذكسية، هو الإنسان الحقيقي القادر على خلق شركة من الأخوّة والعدالة. إن **غاية التقليد الأرثوذكسي** النهائية ليست الإجلال الأناني للشخص البشري، بل إعادة الشركة الأصيلة إلى ما كانت عليه مع البشر الآخرين. بحسب **القديس اسحق السرياني**، يبلغ كل القديسين الكمال عندما يصبحون كاملين، ومتمثلين بالله بمحبتهم وخيريتهم المتدفقتين نحو الجميع. لا يوجد أرثوذكسية فردية ولا خلاص فردي. في آخر المطاف، الخلاص هو الدخول الكامل في مجتمع الإخوّة. وهذا ينطبق على كل الناس بدون استثناء.

إن الفرق بين **الأرثوذكسية والأنظمة العلمانية** هو أن هذه الأنظمة تحاول أن تخلق مجتمعًا. **فيما نحنُ نكافح** لإدخال أنفسنا في مجتمع الثالوث المُلهَم، في جسد المسيح. هذا المجتمع بطبيعته هو الأخوّة المتلألئة التي لا طبقات اجتماعية فيها (غلاطية ٣:٢٨).

في الأرثوذكسية، هذه الحياة هي حقيقة إلى يومنا هذا **في الأديار**، بالرغم من كل النواقص البشرية. هناك تكون الحياة بكاملها في نعمة الله حيث المساندة المتبادلة، انعدام القنية بوجود الملكية الجماعية، ومشاركة المحبة فيما كل واحد يعمل بحسب موهبته وقدرته ويتنعّم بحسب حاجاته. وهكذا، ينتفي كل شك بالاستغلال أو المبالغة

بالتقدير، لأن الربح ليس الهدف. فالهدف هو الخدمة والمساندة المتبادلين.

الدير هو أنقى مثال للشركة في الأرثوذكسية، وقد أثّر بشكل كبير في تشكّل المجتمع الأرثوذكسي تاريخيًا، أي المجتمعات القروية والمدينية. إن حياتنا المتغرّبة والمتعلمنة تعكس بالضبط تراجعنا عن ذلك المثال **وتبنينا لطرق تنظيم المجتمع الغربية عن الأرثوذكسية وثقافتها**. فهذه الثقافة مختلفة كليًا عن **تلك الغربية**. هذا سببه أن مثالها، في بعده الاجتماعي، ليس السعادة والمصلحة الفرديتين بل التكافل في «**توزيع البؤس بالتساوي**».

قد يفكّر البعض، وهذا ما أشهده كثيرًا **في أوروبا الغربية**، بأن هذا المثال الاجتماعي مرتبط بالماركسية. لا إطلاقًا! فالماركسية، على غرار غيرها من الأنظمة الاجتماعية، تركّز على البنى الداخلية والعلاقات. تبدأ الأرثوذكسية من الأعماق الروحية للإنسان لتستعيد صورة الله داخله، بهدف تفعيل المجتمع البشري ليعكس طريقة وجود الثالوث. وهكذا، لا يكون الفرد ضحية للمسيح من أجل الخير العام، بينما الخير العام يكون مصلحة الشخص الخاصة.

إن اهتمام الإنسان الأرثوذكسي ليس محصورًا في الزمن، بل هو موجّه بشكل دائم **نحو الأبدية**. هذا يعبّر عنه الرسول بولس «إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ.» (١ كورنثوس ١٥: ١٩).

لا ترغب الأرثوذكسية في أن تكون جماعة دينية للخدمات الخيرية، ولا هي منظمة بشرية تكافح فقط من أجل السلام على الأرض والتعايش بين الأمم. تبتغي الأرثوذكسية أن تكون، قبل كل شيء، **جسد المسيح**، أي مختبر خلاص لشفاء الكيان البشري، وهذا شرط مسبَق لتنمية الإنسان على حدود الشركة الأصيلة مع الله والعالم.

إلى هذا، لا يوجد في الأرثوذكسية عملية تطورية بمعنى التغير المستمر. إن محور سلوكنا هو المسيح بلا تغيّر. **فالمسيح** يبقى المركز المُطلَق ونقطة المرجعية للشعب الأرثوذكسي في كل الأزمنة. المسيح يؤمّن وحدتنا عبر الزمن بوجوده في داخلنا. إن عمله غير المخلوق يوحّد، في البعد الأفقي كما في العمودي، كل الشعب المؤمن عبر التاريخ ويتمّم وحدتهم، ليس كخضوع تحت معايير محددة للعيش والتصرّف، بل كحياة ناتجة عن وجوده في داخل نفوسهم.

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

أسئلة حول المقتنيات

❁ سُئِل القديس باسيليوس: «هل يمكن للراهب أن يحتفظ لنفسه بشيء، ويذكر أنه له وحده ؟!» .

فأجاب :

✝ – «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ، بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا.» (أعمال ٤: ٣٢).

✝ – فالذي يقول عن شيء إنه له وحده، قد صار غريبًا عن كنيسة الله، وعن محبة الله، التي أظهرها بعظيم مجده، بالقول والفعل، حتى أنّه أسلَمَ نفسه (ضَحّى بحياته) عن أحبائه، ولا سيّما ماديات هذا العالم الفاسدة.

❁ وسُئِل القديس: «إذا قال واحد: «إني لا آخذ من الأخوة شيئًا، ولا أُعطِي شيئًا، والذي لي يكفيني» فماذا نصنع له ؟! .

✝ – فأجاب: إن كان أحد لا يطيع تعليم الربّ القائل: «حِبُّوا بعضكم بعضًا، كما أحببتكم». فنحن نسمع قول الرسول: «انزعوا الخبيث من بينكم» (١كو ٥: ٢٠).

دينونة الله للمخالفين وصاياه

ضرورة السلوك بتدقيق في التصرُّف مع ملاحظة ما يلي:–

✝ – أية خطيئة مهما كانت (تافهة في نظر البعض) كافية لهلاك الانسان غير التائب.

✝ – الأبرار والقديسون لم يتساهل الله معهم حتى في الخطايا الطفيفة.

✝ – يستحق المرء العقاب على الخطيئة، وعلى عدم فعل الخير، إذا كان ذلك في مقدرته. أو يعاقبه على التساهل مع خطايا الآخرين (كمسؤول عنهم).

✝ – العقاب كان بشدة في العهد القديم، حتى على خطايا قد تبدو صغيرة، فقد تمَّ رجم **أحاز** لأنه جمع حطبًا يوم سبت، ورُجِمَ **عاخان** وأهله لأخذه من أسلاب الحرب، **وبرص مريم أخت موسى**، لما قالت كلمة عن موسى بغير أدب، مع أنَّ ما قالته كان حقيقيًّا، ورغم شفاعة أخيها عنها. **وموسى** أيضًا حُرِمَ من أرض الموعد، لأنه قال كلمة صغيرة للشعب المُتَذَمِّر لقلّة الماء. وغَضِبَ الربّ على **عالي الكاهن** لأنه تساهل مع ابنيه، ولم يعاقبهما بشدّة على سوء سلوكهما.

✝ – فالعادات الرديئة تستحق العقاب، **كالغضب واللعن والسُّكر**. وذكر بولس الرسول أن الذين يفعلونها يستحقون **الموت الأبدي**.

الراهب ايسيخيوس
أب إسقيط القديسة حنة

إعداد راهبات دير مار يعقوب

من بين الأزهار الفوّاحة التي أينعت في حديقة العذراء كان **الأب ايسخيوس المُزيَّن بالفضائل**. وُلِدَ في قرية صغيرة في ميسينيا *MISSINIA* عام ١٩٠٥، من عائلة ورث منها الأموال الطائلة، كما أخذ عنها التقوى وحب الله والقريب. توفي والده وهو لم يزل بعد في الحشا الوالدي. أعطي في المعمودية اسم ديموستيني *DIMOSTINI*، وهو اسم كان معروفًا في قريته وليس تَيمُنًا باسم أي قديس. عُرِفَ بوقاره وحشمته ورصانته. كان ذكيًا جدًا، تَفَوَّقَ على زملائه في المدرسة لدرجة أنه تمكن خلال عام واحد أن ينهي عامين دراسيين. ما أن كبر قليلًا، حتى اضطر للعمل لدى خياط لمدة أربع سنوات لمساعدة أمه الأرملة. كانت نفسه متعلقة بحب الله، متلهفة أبدًا للارتواء من مائه الحي. استيقظت في نفسه مُبكرًا رغبة جامحة لممارسة حياة روحية أسمى، حياة أكثر هدوءًا من صخب العالم الذي بات يُتعبه نفسيًا. وها هو يقول في مذكراته التي تركها لنا:

«عندما بلغت الخامسة عشرة من العمر، أرسلتني أمي لأتعلم مهنة الخياطة. وقبل رحيلي عن القرية، التقيت بمسيحي فاضل أَسْدَى إلي نصائحه قائلًا: عند نزوحك يا ولدي عن القرية، سوف تتعرض لتجارب ومغريات كثيرة، فانتبه لها. لا تبتعد عن الكنيسة، ولا تهمل الصلاة أبدًا.

وذات مساء، اشتد بي الشوق إلى حياة الهدوء والصلاة، وتمنيت لو كان لي جناحان كالحمامة حتى أطير إلى البرية وأستريح. فأخذت أتوسل إلى العذراء كي تهديني إلى طريق الخلاص. فرأيت أثناء نومي شابًا ذا طلعة وسيمة ومهيبة، يرتدي لباسًا عسكريًا مُزينًا، قال لي: إذهب إلى المخزن الفلاني، وهناك سوف تصادف شخصًا، فاسأله عن اسم أخيه الراهب وكيف يعيش في جبل آثوس. ثم تَوَجَّه بعد ذلك إلى **إسقيط القديسة حنة أم والدة الإله**، حيث ينتظرك الرهبان. ثم أراني صور كل المناطق التي ينبغي لي أن أجتازها، كما أراني أيضًا صور رهبان الإسقيط.

أرسلني معلمي ذات يوم لأحضر له زوجته على الحمار من قريتها التي كانت تبعد حوالي ٢ كلم. أرادت أن تأتي معها نسيبتها الشابة، التي راحت تحيك لي أثناء الطريق **فخاخًا شيطانية لإغرائي**. أمسكت بمقود الحمار ورسمت إشارة الصليب قائلًا: أيتها **العذراء القديسة** أتوسل إليك أن تسرعي إلى نجدتي. وعندما تكررت المحاولات قلت للصبية بغضب: سوف أقتلك بهذه الحجارة التي في يدي إن أبديت أية محاولة أخرى. ثم صرختُ: أيتها العذراء نجيني من هذا الخطر المحيق بي. وفجأة ظهرت أمامي **العذراء بنور باهر** وقالت لي: ارم الحجر من يدك ولا تخشَ شيئًا فأنا إلى جانبك. فامتلأت نفسي من الفرح والشجاعة معًا. وأما المرأتان فقد **أخذهما الخوف أبلغ مأخذ** إذ كانتا تسمعان الصوت ولا تريان أحدًا. وهكذا تمكنت من الوصول دون أدنى انزعاج. فتذكرت حينئذ تحذير ذلك المسيحي المؤمن.

وذات مساء، ظهر لي مرة أخرى الجندي قائلًا: لقد حان الوقت لتباشر سفرك. انطلق غدًا، واحترس من التجارب التي سوف تعترضك. لا تخَف، تسلَّح بإشارة الصليب وادعُ العذراء وهي سوف تجيبك.

وفي الغد انطلقت، وأثناء مسيري التقيت **بزمرة من الأشرار** يرقصون ويضحكون بشكل قبيح في وسط الطريق. وما أن رأوني، حتى تقدم كبيرهم مني مُريدًا امساكي قائلًا لزملائه وهو يقهقه عاليًا: هيا لنمسكه ونقتله إنه عدونا. وللوقت تذكرت ما قاله لي الجندي القديس، فرسمت إشارة الصليب مستجيرًا بالعذراء. فإذا بهم يختفون للحال عن ناظري. فأدركت **أنهم كانوا جماعة من الشياطين أرادوا عرقلتي عن المسير**.

وعندما وصلت إلى مدينة سالونيك، قادني احد معارفي إلى أماكن **التسلية والمجون** بغية الترفيه عن نفسي. فرأيت على باب إحداها **شيطانًا واقفًا** يدعو الناس إلى الدخول والتمتع في الداخل. ثم رأيته يصفق فَرِحًا جَذِلًا كلما استجاب لدعوته أحدهم. وبينما كنت أتأمل هذا مفكرًا كيف **يهلك البشر دون أن يشعروا**، إذا بالجندي

يظهر لي قائلًا: **متّع ناظرك ما شئت من مغريات هذا العالم الفانية.** إنها المرة الأخيرة التي ترى فيها أشياء كهذه، ثم اختفى.

تابعت مسيري في اليوم التالي متوجهًا إلى الجبل (جبل آثوس). وعندما أردت الذهاب إلى الإسقيط، رأيت **راهبًا** جالسًا على الطريق فقلت له: باركني يا أبي، لأني أود أن أكون راهبًا مثلك. فقال لي: وإلى أين تقصد؟ أجبت: إلى **إسقيط القديسة حنة**. فقال: **ليس حسنًا ما اخترت، إذ إن الرهبان هناك أشرار، كما أنهم لا يفقهون شيئًا لا من تعاليم الرهبنة ولا من نظامها**. تعالى إلي وسوف أعلمك الكثير. قلت: لست بمحتاج إلى تعاليمك، سأذهب إلى هناك لأنها إرادة الله. وما إن قلت هذا حتى أصبح ذلك **الراهب دخانًا** واختفى عن ناظري تاركًا وراءه **رائحة كريهة**. وطبعًا أدركت ساعتئذٍ **انه كان شيطانًا**».

وهكذا **وبنعمة الله ومعونة العذراء** انتصر الشاب ديمو *DIMO* – كما كانوا يدعونه – على **تجارب العالم والشيطان**، وصار مبتدئًا لدى الأب ليونيدوس *LEONIDOS* **في إسقيط القديسة حنة**، الذي كان يضمّ خمسة إخوة **ممؤولين من الفضائل، مثابرين على الصلوات، حافظين للإمساك، أمينين لوعودهم الرهبانية التي أبرزوها أمام الملائكة أثناء توشحهم بالإسكيم الرهباني.**

لقد كان **الأب ليونيدوس أب الإسقيط**، رجلًا ذا خبرة روحية واسعة، وطبيبًا حاذقًا للنفوس، يتراكض اليه الكثيرون للاعتراف ولسماع كلمات إرشاد مفعمة محبة وحكمة إلهية. كان يعرف الماضي دونما شرح، ويرى بوضوح حوادث المستقبل. كان مرآة تعكس بجلاء إرادة الله للآخرين، ذا ذهن ثاقب مستنير، يستطيع كشف خفايا القلوب بما له من البصيرة الروحية. ولقد أخبر عنه الأب إيسيخيوس قائلًا: «نزل مرة الأب **ليونيدوس** إلى ميسينيا، ومرّ هناك قرب مطعم، وما أن رآه زواره، حتى أخذوا يشتمونه ويلعنونه منتقدين الرهبان وأعمالهم. فاقترب منهم الشيخ وراح يحدثهم بوداعة ولين، ويكشف لكل واحد منهم حوادث جرت له، وللبعض الآخر خطاياه ومآثمه. فأخذ الرجال يرتعدون وتأثروا من لطف الأب ومحبته وحنوّه. فاعتذروا عما بدر منهم وطلبوا إليه أن يسمع اعترافهم معلنين توبتهم ومنذهلين من استنارة نفس الأب وقداسته».

ثم أردف الأب إيسيخيوس: «لقد تنبأ لي عن مستقبل حياتي قائلًا: ستصل إلى شيخوخة متناهية، وسوف تموت بسلام، لكن الأحزان الكثيرة لن تفارق حياتك. فاذكر دومًا قول الرب: من يصبر إلى المنتهى يخلص».

في عام ١٩٢٧ أصبح الأب إيسيخيوس وهو في سن الثانية والعشرين عضوًا في شركة الإخوة، مجاهدًا كل يوم على تقديس نفسه، وغرس أسمى الفضائل فيها، وخاصة الوداعة والتواضع مماثلًا **سيّده القائل**: «تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب». كان يخدم في الكنيسة، ويؤمّن للآباء حاجياتهم بكل فرح وصبر. وبما انه تعلم مهنة الخياطة، فقد راح يزاولها وهو في الإسقيط. وبعد سنة أي عام ١٩٢٨ **توشح بالإسكيم الرهباني الكبير واعْطِيَ إسم إيسيخيوس.** وبعد عامين أي سنة ١٩٣٠ **سيم شماسًا** ثم عام ١٩٣٢ **نال نعمة الكهنوت.** وفي العام ١٩٥٤ **أصبح أبًا روحيًا للإسقيط.**

وهكذا بدأت مسيرة الأب إيسيخيوس الروحية. وما هو إلّا زمن قليل، حتى تزينت نفسه وتكمّلت بالفضائل الرهبانية، مماثلًا **القديس أنطونيوس الكبير** بجهاده وتمييزه وقيادته الحكيمة للنفوس. كان يعمل بكل صمت، ويجمع عسل الفضائل من سيرة الآباء بتواضع وهدوء. يُرشد النفوس بكل حنان، ويؤدب بعصا الوداعة واللين. فكنتَ ترى في وجهه حلاوة الناصري يسوع ووداعته حتى أثناء تأديبه. وهكذا وبحق دُعي «قانونًا للإمساك وصورة للوداعة». لم يكن مُرشدًا للرهبان فقط، بل أيضًا كان للعلمانيين القسط الوافر من ذلك، لأن صيته تعدى حدود الجبل المقدس. إن صيت القداسة لا بدّ له من أن ينتشر، ولا يمكن لعبير الفضيلة إلّا أن يضوع. ألم يقل الرب «إن المكيال يوضع على المنارة».

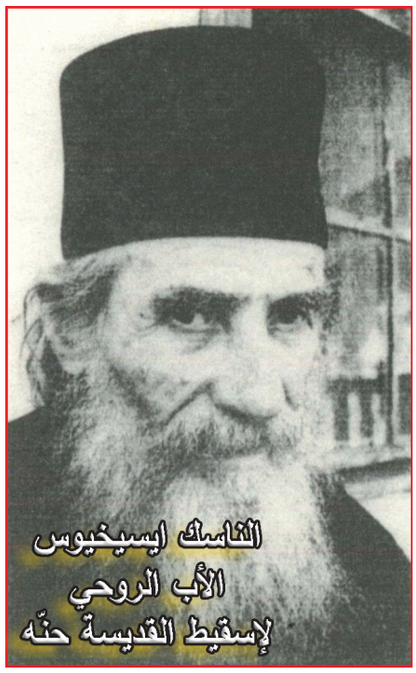

ولقد قال عنه أحد الرهبان: كان **الأب إيسيخيوس** ناسكًا قديسًا ومجاهدًا صنديدًا، قاسيًا على نفسه في ممارسة نسكه، شفوقًا رؤوفًا على الآخرين. لم يفتأ أبدًا مُردِّدًا في كل مناسبة نصائحه وإرشاداته لرهبانه قائلًا : «حافظوا ما استطعتم، وبحرارة اجتهاد على تتميم قانونكم الرهباني، وعلى حضور الخِدَم الكنسيَّة. احرصوا على سلامكم الداخلي وعلى رباط المحبة بين بعضكم البعض، وليس بينكم فقط بل ومع الجميع. تموا خِدَمَكُمُ الديرية بأمانة كما للرب. أكرموا الغرباء وخاصة الفقراء منهم مقدمين لهم الإحسان قدر الإمكان، لأنكم بعملكم هذا تستضيفون كنيسة المسيح نفسه، الذي سوف يعوض عليكم مئة ضعف، **أحبوا القديسة حنة واتقوها** مقدمين لها الإكرام اللائق بها، لأنها هي **شفيعة الإسقيط وطبيبه.** ضعوا أيقونتها في قلاليككم وقبلوها عند خروجكم من القلاية وعند عودتكم إليها، وهي سوف تحميكم وتشفع من أجل خلاصكم.»

كان **للأب ايسيخيوس** مودة خاصة يكنّها **للقديسة حنة**. وكان يحمل دومًا بعضًا من ذخائرها أينما حلّ وحيثما توجه. كان يزور من وقت لآخر قرى ونواحيَ متعددة متفقدًا مُعزّفًا. كان يحب أن يتحدث عن عجائب القديسة، لذا أحبها الجميع واعتبروها الشفيعة الخاصة بهم. وكانت هي بدورها تسرع لشفاء مرضاهم وَسُقمائهم، وتُبعد الأخطار

عنهم وتحلُّ عُقْرَ نسائهم. وباختصار أضحت الملجأ الأمين لكل من يُسرع إليها.

وهاك ما حدث مع **الأب ايسيخيوس** شخصيًا إذ قال: «في اليوم السابق لاندلاع الحرب العالمية الثانية، كنت مضطرًا إلى ترك الإسقيط والتوجه إلى القرية التي يقيم فيها بعض أقربائي. فتوجهت إلى الكنيسة، حيث توجد ذخائر القديسة حنة صانعًا لها مطانية وقائلًا: يا قديسة الله ساعديني واعفيني من الجندية، وسوف أخدمك بقية حياتي. ثم قصدت القرية بعد أن طلبت صلاة الإخوة من أجلي. وفي الطريق صادفت جنديًا طلب مني ورقة الإعفاء من الجندية. وبما أني لم اكن أملكها، اجبته بجفاء: أتجسر أن تطلب مني ورقة إعفاء. إني راهب والرهبان لا يذهبون إلى الجندية. فأصر الجندي على طلبه قائلًا: إن لم أطلبها أنا يا أبي، سوف يطلبها غيري. وأما أنا فلم ارد له جوابًا وتابعت مسيري.

أمضيت في القرية عشرة أيام، وعند عودتي التقيت نفس الجندي. ففوجئت بلطفه ورقته في المعاملة وقال: لقد جائتني يا أبتي في الليلة التي صادفتك فيها للمرة الأولى **سيدة عجوز** أثناء نومي، وحذرتني قائلة بلهجة قاسية: الرهبان لا يذهبون إلى الجندية. لقد كررت هذا القول ثلاث مرات ثم قالت بلهجة الآمر: عندما يأتيك في المرة القادمة، اعطه ورقة إعفاء من الجندية. فخذ إذًا يا أبي هذه الورقة وأخبرني **من تكون العجوز**. فضحكت وقلت: **إنها القديسة حنة شفيعة الإسقيط**. فقال: توسّل إليها علّها تسامحني. ثم علمت بعد عودتي إلى الإسقيط، أنه في الساعة التي ظهرت فيها القديسة للجندي، كان الإخوة يرتلون خدمة البراكليسي الخاص بها كي تؤازرني وتساعدني على العودة سالمًا.

وذهبت مرة أخرى إلى القرية، ومعي داخل حقيبتي **بعض من ذخائر القديسة**. واضطررت أن أبيت لدى كاهن القرية. وعند وصولي طلبت من ابنه أن يضع لي الحقيبة في غرفتي. ثم صرفت اليوم كله مهتمًا بأهالي القرية. وعند المساء ذهبت للنوم، وبما إني كنت مُتعبًا جدًا لم أتفقد الحقيبة التي كان ابن الكاهن قد نسيها قرب الباب الخارجي. وعند انتصاف الليل، إذا **بالقديسة حنة تصفعني على وجهي** قائلة: لماذا تركتني بعيدة في الخارج؟ ومن قوة الصفعة استيقظت مفتشًا عن الحقيبة حتى وجدتها فحملتها عائدًا إلى الغرفة، وصانعًا للقديسة مطانيات كثيرة طالبًا من القديسة الغفران **على إهمالي**.

وفي حزيران من عام ١٩٨١ تعرض الأب لمرض أقعده طريح الفراش عدة سنوات. تحمَّل آلامًا مُبرحة، حتى إن القيح كان يجري من أسفل قدميه بغزارة، ومع ذلك لم تكن تسمعه متأوهًا أو متضجرًا. بل شاكرًا وقائلًا: لا تتذمروا يا إخوتي أثناء المرض، لأنكم سوف تنالون أَجْرَ تحملكم الذي أبديتموه محبة لاسمه القدوس.

وقبل عشرة أيام من نهاية مسيرته، قال لأحد الإخوة: سوف أرحل عنكم في **عيد القديس خرالمبوس**. وفعلًا في غروب العيد قال له الأخ بندليمون: هيا بنا يا أبي لنرتل خدمة غروب القديس. فأجابه الأب: اذهبوا أنتم وأما أنا أهيء نفسي للحياة الأخرى وملاقاة الرب. وكانت هذه كلماته الأخيرة. وهكذا لم يكد يحل مساء ذلك اليوم، حتى أودع نفسه بين يدي بارئه. بقي جسده يومين كاملين دون دفن، ريثما يحضر بقية رهبان الجبل لإتمام مراسيم الجناز. ومع ذلك لم ينتن ذلك الجسد ولا برزت منه أية رائحة فاسدة.

ولقد أخبر عنه أحد الإخوة قائلًا: إنه قبل عام من رحيله، مرض مرضًا شارف فيه على الموت. وإذا به يصرخ ذات يوم قائلًا لي: من هم هؤلاء **السود الوجوه** يا بُنَيَّ الذين جاؤوا إلى هنا وماذا يبغون؟ ثم قال بعد قليل: من هو هذا **الشاب اللامع الهيئة** الواقف قرب النافذة؟ لقد قال لي تهيأ يا إيسيخيوس، فسوف أمرّ عليك العام القادم لآخذك معي. لقد كان ملاك الرب الذي تمم قوله فعلًا بعد عام.

من أقوال القديس برصنوفيوس

«أربط سفينتك بسفينة الآباء، وهم سوف يقودونك نحو يسوع، الذي وحده يستطيع أن يمنحك التواضع والقوة والحكمة وإكليل الإبتهاج».

«لا تسعَ أن تصنع مطانيات بشكل متعمد، أمام بعض الأشخاص أو في مخدعك، لكن أفعل ببساطة ما يصدر منك بشكل طبيعي».

« سواء كنتَ جالسًا أو ماشيًا، سواء كنتَ تعمل أو تأكل، أو تقوم بأي شيء آخر، سواء كان اتجاهك نحو الشرق أو الغرب، لا تتردَّد في أن تُصلي، إذ أننا قد أُوصِينَا بالصلاة بلا انقطاع وأن نصلي في كل مكان».

سؤال: إذا تلقى شخص مديحًا من آخر، هل يجاوب بطريقة متواضعة؟

جواب: الصمت يكون له منفعة أكثر. لأنه إذا جاوب يكون الأمر كما لو أنه يتقبل المديح. وهذا هو مجد باطل.

سؤال: عندما أصلي بالمزامير، ذهني يسرح ويشرد. ماذا أفعل؟

جواب: إذا شَرَدَ ذهنك، استأنف الصلاة بالمزمور ذاته من الكلمة التي تتذكرها. وإذا حدث ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثة، بحيث أنك لم تَعُد تتذكر آخر كلمة كنتَ تتلوها بيقظة، استأنف الصلاة بالمزمور من بدايته.

موقف الكنيسة الأرثوذكسية من حرق أجساد الموتى

الأب
أنطوان
ملكي

يتزايد عدد البلدان التي تسمح بحرق الأجساد أو تُشجّع عليه، وهذا **يطرح تحديًا لفكر المؤمن الأرثوذكسي**. الواقع أنه من الصعب إيجاد آية إنجيلية محدَّدة أو قول آبائي مُحدَّد، يتناول عملية حرق أجساد الموتى بشكل تخصيصي، **إنما موقف الكنيسة في رفضها لهذا الحرق ينبع بشكل اساسي من احترامها للجسد البشري**، كما سوف يتبيّن ممَّا يلي عرضه.

رفض المسيحيون الأوائل حرق أجساد الموتى الذي كان عادة معروفة في **بعض العالم الروماني**، واستمرّت في أوروبا العليا حتى وقت متقدّم. **رفضُ المسيحيين الأوائل** جاء من أن كل الذين يأتي الكتاب المقدس على ذكرهم قد دُفِنوا ولم يُحرَقوا، حتّى حنانيا وسفيرة (أعمال ٥). أول إشارة إلى الدفن في العهد القديم جاءت على لسان ابراهيم عند موت سارة، حيث توجّه إلى الحثيين قائلًا: «أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي» (تكوين ٢٣:٤). إذًا كان مستعدًا لأن يشحذ مكان القبر ليدفن مَيْتَهُ **وهذا يدل على أهمية أن يُدفَن الميت**، حتى قبل أن يتعرّف البشر إلى القيامة. وفي العهد الجديد، مرتا ومريم دفنتا أخاهم الذي مات (يوحنا ١١). **يوحنا المعمدان** أخذه تلاميذه ودفنوه. وأهم الذين دُفِنوا **هو السيّد نفسه** الذي وضعه يوسف الرامي في القبر. إلى هذا، في العهد الجديد أكثر من قول للسيد يؤكّد على اعتماد الدفن للموتى كما في قول السيد: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ» (لو٩:٦٠).

من المعروف لدى **مؤرخي الكنيسة** أن المسيحيين الأوائل كانوا يعارضون بقوةٍ قتل الأطفال، أو التخلي عنهم أو الإجهاض أو الانتحار **لأنهم يؤمنون بقدسيَّة الإنسان**. وفي فكرهم، لا تنتهي قدسية جسد الإنسان عند موته. **لقد نظروا إلى الإنسان كتاج خليقة الله**، استنادًا إلى تعليم كتاب التكوين عن أن الإنسان مخلوق على صورة الله (١:٢٧)، وأنه ينقص قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ ويتكلل بِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ (مزمور ٨:٥)، وكما توجّه الرسول بولس إلى الكورنثيين بأنهم هياكل الله وأن روحه تعيش فيهم (١كورنثوس ٣:١٦).

فبالاستناد إلى هذه النظرة الكتابية لجسد الإنسان، بالإضافة إلى الإيمان بقيامة الجسد، لم يكن المسيحيون الأوائل يرتضون تسليم الجسد، حتّى الميت، إلى أكثر الوسائل المعروفة دمارًا أي النار. لقد رأوا أن حرق الجثث ليس كتابيًا، ولا يمكن تصوره إلّا كعمل تدنيسي.

وقد استمرت هذه العقلية لقرون، حيث حفظ المؤمنون المسيحيون حُرمة جسد الإنسان، حيًا أو ميتًا، وفوق هذا هم لم يروا أن جسدهم يخّصهم، وأنّ لهم الحريَّة في التصرف به.

أول كاتب كنسي عارض **حرق الأجساد** عن طريق الدفاع عن دفن الموتى هو فاليكس *(Minucius Felix)* الذي كتب حوالي عام ١٩٠ م: «نحن نلتزم العادة القديمة والفُضلى أي الدفن في الأرض. انظروا إذًا كيف نتعزّى بأن كل الطبيعة تشير إلى القيامة في المستقبل» (الحوار ٣٤). **ترتليان** هاجم **حرق الأجساد** معتبرًا إياه عملًا قاسيًا وعنيفًا (حول قيامة الجسد،١). **القديس إيرينايوس** شدّد على الممارسة المسيحية للدفن في الأرض: «ولكن على الرغم من أن الجسد الميت يذوب في وقت محدَّد، بسبب معصيتنا في أول الزمان، فإنه يتم وضعه، كما كان في جوف الأرض...» (مقتطفات من كتابات إيرينيوس المفقودة، *XII*).

من الناحية القانونية لا يوجد قوانين تُحدِّد موقفًا من **حرق الأجساد** ولم يتطرّق إلى هذا الموضوع أي من المجامع المسكونية. إنّما يوجد عدد من القرارات التي اتّخذتها مجامع لكنائس محلية في القرن العشرين في مواجهة مسألة **حرق الأجساد** التي تطرحها الدول عادة، منها كنيسة اليونان والروس خارج روسيا، إلى جانب عدد من الدراسات للاهوتيين معروفين. يرد في أكثر من واحد من هذه النصوص إشارة إلى القانون ٨٧ **للقديس باسيليوس الكبير** حيث يحكي عن احترام الأشياء غير المكتوبة والتي لديها «قوة التقوى»، كمثل رسم إشارة الصليب أو اتجاه الكنيسة نحو الشرق أو التعميد بالتغطيس ثلاثًا، وعليه فإن دفن الموتى وإن لم يكن مكتوبًا في نص صريح، إنما هو عادة لها قوة التقوى.

من هنا بالاستناد إلى القيمة التي تعطيها الكنيسة للدفن، بدءًا من خدمة الجناز، وصولًا إلى تبخير المدافن، والاهتمام بها وبنائها بقرب الكنيسة، **يُفهَم موقف الكنيسة الرافض للحرق**. أمرٌ آخر أيضًا تستند الكنيسة إليه في رفضها الحرق هو خبراتها مع الرفات أي أجساد القديسين، أمثال **القديسين اسبيريدونوس العجائبي، جراسيموس كيفالونيا، باتابيوس المصري، أفرام الجديد، ديونيسيوس زاكنثوس**، وعدد كبير من القديسين في دير الكهوف في كييف وغيرهم. حيث أن هذه الأجساد ما زالت كاملة وما زالت تفيض بالعجائب.

يعلّم الرسول بولس بأن الأجساد هي هياكل الروح القدس، ما يعني أن الإنسان لا يملك جسده. ويقول القديس كيرللس الأورشليمي عن القيامة بالجسد: «تذكروا أن بهذه الهيئة سوف تُقامون من الموت للمحاكمة». من هنا أن المسيحي ليس له أن يتصرّف بجسده بعد الموت، لا وهبًا لأعضاء ولا حرقًا لها.

ختامًا، إن قيامة الأجساد هي حقيقة ثابتة في الإيمان الأرثوذكسي، ويعبّر عنها في دستور الإيمان: «تألّم وقُبِرَ وقام». واضح من هذه العبارة أن **القيامة تتبع القبر**، لهذا لا مكان لحرق الأجساد في الكنيسة الأرثوذكسية، **كما أن تجنيز الرماد غير ممكن**.

الاعتراف والأب الروحيّ

الأب بايسيوس الآثوسي

سؤال: هل ينعم بالراحة الداخليّة مَن لا يعترف؟

الجواب: كيف يكون مرتاحًا؟ لكي يشعر الإنسان بالراحة التامة. يجب أن يطرد من داخله كلّ سوء، وهذا لا يتم إلّا بالاعتراف. يفتح قلبه لأبيه الروحيّ ويقرّ بذنوبه وزلاّته باتضاع، فتُفتح أمامه أبواب السماء، لتحلّ نعمة الله عليه بغزارة، ويتحرّر من **وقر خطاياه**.

كما يهتمّ الإنسان المريض ليكون دومًا على اتصال وثيق بالطبيب، هكذا على من يريد أن يكون ذا صحة روحيّة سليمة أن يكون دومًا على اتصال وثيق بأبيه الروحيّ.

مهما كان الإنسان ذا مستوى روحيّ سامٍ، ومهما استطاع أن ينظّم أموره الروحيّة بنفسه، لا يستطيع أن يجد راحة تامّة، إلّا باللجوء من وقت لآخر إلى الاعتراف، لأنّ الله يشاء **أن يصلح الإنسانَ إنسانًا آخر مثله**. إنّه تدبير إلهيّ يقود الإنسان إلى الاتضاع.

لا يثمر الإنسان الروحيّ ثمارًا روحيّة إلّا بالاعتراف الصحيح، لأنّه بواسطته يطرد من نفسه كلّ ما هو غير مفيد.

من ضروريّات الحياة اليوم أن يلجأ المرء إلى أب روحيّ لكي يعترف ويجد إرشادًا. يجب على الآباء الروحيّين أن يضعوا لأبنائهم برنامج حياة روحيّة من صلاة، ومطالعة ومداومة على حضور الخِدَم الكنسيّة ومناولة الأسرار المقدّسة، لأنّهم بهذا يحفظون أولادهم الروحيّين من الضياع، وهؤلاء يحيون حياة مطمئنّة دون قلق أو خوف.

من ليس له أبٌ ليرشده في مسيرته الروحيّة **يعش قلقًا تَعِبًا**، وبصعوبة يصل إلى هدفه المنشود. وإن أراد حلّ مشاكله بنفسه، فإنّه مهما كان متعلِّمًا، فإنَ **روح الكبرياء، والاعتداد بالذّات** هي التي تحرّكه لذلك يبقى في تخبّط وظلام. وأمّا من يقصد أبًا، بروح التواضع ونكران الذات، ليسأل نُصحًا وإرشادًا يُساعَد، لأنّ الله سوف يمنح الأب الروحيّ، بدون شكّ، البصيرة ليعطيه الجواب والحلّ الملائمين.

من الأفضل جدًّا أن يكون للزوجين أب روحيّ واحد. لأنّه باختلاف الآباء تختلف أيضًا الآراء، وقد يخلق هذا جوًا من التوتر بين الطرفين. وأمّا الأب الواحد فإنّه يعرفهما كليهما ويصلح أخطاءهما، فتحفظ بهذا دفّة حياتهما مسيرها بدقّة وبشكل صحيح.

من لا يقبل ملاحظات أبيه الذي يحبّه فإنّه من الواضح لا يستطيع أن يفيد نفسه بنفسه مهما كان حاذقًا.

إن لم ننظّف أنفسنا بواسطة الاعتراف، عندما نتمرّغ في **أوساخ الخطيئة**، فإنّنا نضيف إلى طيننا طينًا آخر، وعندئذ تصعب عمليّة التنظيف وتتعذر جدًا.

عندما يكون الأب الروحيّ مُستنيرًا يفهم ويميّز الحالات بعضها من بعض، ويمنح النصائح والإرشادات كما تقتضي كلّ حالة. لا يحتاج المرء إلى ساعات طوال، وإلى كلام كثير لكي يعطي صورة واضحة عن نفسه إن كان ضميره حيًّا، ويعمل بشكل صحيح. ولكن إن كان داخله مشحونًا بالقلق، فإنّه لو تكلّم ساعات فلن يعطي الصورة الواضحة عن نفسه.

عندما نَخْطَأُ إلى إنسان ما، علينا أن نطلب منه المسامحة ونصطلح معه قبل توجّهنا إلى الاعتراف للإقرار بذنبنا، لأنّه بهذا فقط تحلّ علينا نعمة الله. أمّا إذا اعترفنا بخطايانا دون أن نكون قد اصطلحنا مُسبقًا مع أخينا، فلن نجد السلام الحقيقيّ لأنّنا لم نتّضع.

سؤال: لماذا لا يشعر المرء، وهو يعترف، بنفس الألم عندما يقترف الخطيئة؟

الجواب: قد يكون قد مرّ زمن طويل على **اقتراف الخطيئة**، واندمل الجرح ونسينا خطيئتنا. أو يكون الإنسان قد بَرَّر نفسه أثناء الاعتراف. لذلك أشير عليك أَنْ أَسْرِعْ إلى الاعتراف ولا تؤجل واحذر ألّا تُبرّر ذاتك مُطلقًا، لأنّ من يعترف ويبرّر ذاته لا يَلقى الراحة الداخليّة عكس من يُؤثّم نفسه ويلومها، فإنّه يشعر بغبطة داخليّة كبيرة بسبب ضميره الحيّ.

كلّ أب روحيّ **لا يكون مستعدًا أن يذهب إلى الجحيم**، إن اقتضى الأمر، محبّة بخلاص أبنائه الروحيّين لا يسمّى أبًا روحيًّا.

بالاعتراف الصحيح يُمحى كلّ الماضي، وينفتح باب جديد للحياة، وتحلّ نعمة الله لِتُغَيِّر الإنسان بجملته، ويختفي الاضطراب والحزن ويحلّ الهدوء والسلام، ليس داخليًّا فقط بل وخارجيًّا أيضًا إذ ينعكس سلامه على تصرّفاته وَسَكَنَاتِهِ. لقد أشرت مرّة على البعض بأن يلتقطوا لأنفسهم صورًا فوتوغرافيّة قبل الاعتراف وبعده ليروا بأنفسهم التغيّر الحاصل على ملامحهم، لأنّ الوجه يعكس حالة الإنسان الداخليّة. نعم إنّ أسرار الكنيسة تصنع العجائب، فكلّما اقترب الإنسان من يسوع المسيح الإله والإنسان تألّه وشعّ بالنعمة الإلهيّة.

إن أراد أحد أن يعيش حياة روحيّة حارّة تحت إرشاد أب روحيّ مختبِر سيذوق طعم الفرح العلويّ، الروحيّ السماويّ، فلا يعود يهتمّ في ما بعد **بالأمور الأرضيّة، الماديّة، الجسديّة**.

موقع التوبة

في حياة الإنسان الخادم في الكنيسة

المتربوليت افرام كرياكوس

الموضوع دقيق، يعرض العلاقة بين التوبة والخدمة. هذا شيء دقيق وصعب، لأنه مجهودٌ شخصيٌ وجماعيٌ في آنٍ معًا: ينطلق من دافع شخصيّ داخليّ، ويذهب إلى رسالة نحو الجماعة والعالم. بالنسبة للموضوع والعنوان المطروح أنطلق من **تحديد التوبة للقدّيس يوحنا الدمشقي** الذي جاء في كتابه المعروف عن الإيمان الأرثوذكسي: «**التوبة هي العودة مِمَّا هو ضدّ الطبيعة، إلى ما هو بحسب الطبيعة من الشيطان إلى الله، عبر الوجع والجهاد أو التقشف والنسك**».

نقول باختصار كما نعرف من تاريخ الكنيسة إنّ التوبة هي العودة **إلى الله**. وهنا أورد بعض النقاط التي تساعدنا على تحديد ما هي العودة إلى طبيعة الإنسان الأصلية، سيرة العودة، وثانيًا في عمل **الشيطان ضدّ المسيح anti Christ** وتخطّي العقبات التي يضعها **الشيطان** لنصل **إلى الله**. وهي تتطلب هذه المعاناة: هذا الألم الداخلي، شيئًا من الجهاد والتدريب النسكي.

ما يناسب موضوعَنا اليوم هو خبرة بولس الرسول عند اهتدائه على طريق دمشق (أعمال الرسل٢٦: ١٥-١٨) «فَقُلْتُ أَنَا – بولس الذي كان شاول –: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. – ونعرف أن **اضطهاد المسيح** يتمّ عندما **يخطىء الإنسان** – وَلكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ.»:

من يحلّل هذا المقطع يرى فيه **خلاصةَ اللاهوت الأرثوذكسي**. سأحاول أن أعرض بعض نقاط هذه المسيرة التي تبدأ في داخل الإنسان وتنطلق إلى العالم. هي مسيرةُ الخلاص، لذلك يعتمدها الآباء، هي عملُهم، برنامجُهم طيلة الحياة، من الولادة حتى القبر (**باعتبار أن بعد الموت لا مجال للتوبة**).

إذا اعتبرنا أننا كُنا في **حالة الخطيئة** أي التي هي **ضد الحالة الأصلية** نكون، حسب عبارة القدّيسين وأعمال الرسل، **مستعبَدين للشيطان**. هذا ما يقوله القديس بولس: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.» (رسالة رو٥: ١٢).

القضية هي أنَّنا كُنَّا ولم نزل، إذا ما ابتعدنا عن الله، **في هذا الاستعباد** وفي تعبير عصري: نحن مستعبدون لـ «**غريزة البقاء**» **Instinct de conservation**، هذه الغريزة المركّزة على الذات الأنانية المفتّشة عن اللذة. وهذا ما حرّرنا منه الله بالمحبة على الصليب.

لذلك يقول **القديس يوحنا الدمشقي** نحن بحاجة إلى الألم، وكما يقول **القديس اسحق السرياني**: «الذي يعترف بخطيئته (ويبكي ويتألم عليها) هو كمن عَبَر من الموت إلى الحياة».

هناك **إحساس بالموت لا بُدَّ منه في طبيعة الإنسان الضعيف** ومن ينقذنا من هذا **الشيطان** ويحرّرنا منه سوى **المسيح** وحده، بالتصاقنا به وبكلامه. إيماننا هو وحده الذي يستطيع **أن ينقذنا من إبليس**، وبدون ذلك لا نستطيع التخلّص منه. إذا كنا مستعبدين لهذه الدنيا، وهذا شيء طبيعي حسب البعض، لا نستطيع أن ننطلق إلى المسيح.

١) نحن نتوجع عندما نتأمل هذه الطبيعة الضعيفة التي نحملها، والأحداث كلّها تُظهر بوضوح هذا الإنسان الذي يتعذب ويتصارع ويتمخّض ولكن نحن المؤمنين، نتوجع بصورة خاصة لأننا نحب الله، نحبّ أن نصعد هذا السلّم، ألّا نبقى على الدرجة التي نحن فيها. محبّتنا تدفعنا إلى أن ننسلخ عن أنفسنا عن أنانيتنا.

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ

وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لوقا ١٤: ٢٦). إذ عندها لا تكون تخدم الله بل نفسك. محبتنا لله، عشقنا له، يدفعنا إلى أن نتخلّى عن أنفسنا.

٢) نحن أيضًا نتألم لأننا **فقدنا النعمةَ الإلهية**. نعمل من أنفسنا، من تفكيرنا وليس من نعمة الله. الإنسان متروك إلى قواه البشرية فقط، لم يعد مسنودًا من النعمة الإلهية. هذا عندما نعي طبيعتنا الضعيفة نعود نتوق إلى التمتع بهذه النعمة، وهذا لا يحصل إلّا إذا تخطينا أنفسنا.

يقول **القدّيس غريغوريوس بالاماس**: «الذي لا يرى الله لا يستطيع أن يتخطى نفسه، رؤية المجد الإلهي لا بُدَّ منها لكي يتخطى الإنسان أهواءه وشهواته». لا نستطيع الخروج من هذا الجسد إلّا إذا عَشِقْنَا الربّ. الذي يعشق شخصًا آخر يتخلى عن كل شيء.

لكل هذه الأسباب التي ذكرتها، ولهذه الحاجة للعودة إلى الله إلى المجد الذي فقدناه، **لا بدّ من الاعتراف**.

الاعتراف:

ضعفنا في الكنيسة **أننا لا نعترف**. يبقى قلبُنا مُغْلقًا. لماذا الاعتراف؟

الاعتراف هو **الإقرار بالخطيئة**. هنا نعود إلى قول **القدّيس نيقوديموس الآثوسي** الذي يتكلم **عن سِرّ الاعتراف والتوبة**: «إننا بحاجة لمعالجة هذه النفس المريضة، أولًا لأن الأفكار السيئة، إن لم تُكشف تصبح أفعالًا، وإن كُشفت ضَعُفَ فعلها».

ويقول أيضًا: «التوبة والاعتراف يجعلانك تستعيد حريتك ويُطلقانك لخدمة المجتمع، لأنك أصبحت حُرًا بالمسيح وتتصالح مع الجماعة». ويشهد بولس: «إن تألّم واحد تألمت الجماعة» (١كور١٢: ٢٦).

يقول **القديس باسيليوس**: «الذي يمرض في نفسه لا بدّ أن يستشير طبيبًا لكي يساعده على الشدّة». وفي رسالة يعقوب: «اعترفوا بعضكم لبعض وصلّوا بعضكم لبعض لكي تشفوا» (يعقوب٥: ١٦).

من هذا المنظار **يجب أن تُعالج الكنيسة** نفوسَ الناس وتعزّيهم وتشفيهم، وإلّا تركتهم **للأطباء النفسانيين والسحرة والشيوخ والمشعوذين**. هل تتخلّى الكنيسة عن رسالتها: «الكنيسة هي مستشفى بكل معنى الكلمة». **أسّسها الرب والرسل وخلفاؤهم لتشفي نفوسَ الناس وتقودهم إلى الخلاص**.

يقول **القديس نيقوديموس**: «التوبة والاعتراف مدرسة لشفاء الإنسان من الداخل».

بالنسبة لهذه المدرسة، لهذا العمل، يقول القديس نيقوديموس: «إن هناك دورًا لي أنا المعترف، ثم دورًا للكاهن ثم دورًا لله. في هذه العملية الشفائية، دوري أنا هو أن أحاول أن أفتح قلبي، أن أكشف عن نفسي حتى لا يسيطر الداء عليّ، وهذا معروف في الإرشاد النفسي، ودور الكاهن الذي يمثّل الجماعة هو الإرشاد والمصالحة مع الله والجماعة والمساعدة في إعادة الحريّة للإنسان. أمّا دور الله وهو الأهم والذي ننساه نحن المؤمنين، فمختلف عن المساعدة التي يقدّمها الأطباء وعلماء النفس، دور الله يكمن في عمل النعمة الإلهية فينا، هذه النعمة التي فقدناها بسبب خطيئتنا. نجد أنفسنا أمام الكاهن الذي أعطاه الله هذا السلطان وهذه النعمة، من خلاله نستعيد النعمة الإلهية التي وحدها تشفي. هذا هو إيماننا.»

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «كل شيء في الإنسان يتمّ باسم الآب والابن والروح القدس».

إذا أردتُ أن أركّز على جدّية هذا السعي الذي يتطلب فهمًا وإيمانًا ومعرفةً بأننا بحاجة إلى أن نفحص أنفسنا، ونعالج أنفسنا ونلتصق بالله ونعيش مع الله، ألّا نخاف من كلّ ظروف الحياة القاسية، أن نسعى للتضحية للخدمة، أن نمتثل **بالملائكة**. للملائكة وظيفتان: تسبيح الله على الدوام، والثانية، التي هي نتيجة كونهم يعيشون مغتذين من وجه الله، من كلمته، عند ذلك «يُرسلون إلى الخدمة من أجل الذين يرثون الخلاص» (عب١: ١٤).

علينا أن نتمثل بالملائكة، أن نلتصق بالله عن طريق الصلاة والتسبيح، أن نعود إليه **بالتوبة والاعتراف**، حتى نستحق حمل **رسالة المسيح** إلى هذا العالم، أوّلًا إلى الكنيسة **التي عند ذلك تتجدد** والى العالم كلّه بعد ذلك. آمين.

«فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسد المسيح ودمه. إن جسده يُعْطَى لك تحت شكل الخبز، ودمه يُعْطَى لك تحت شكل الخمر، وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا مع المسيح. وهكذا نصبح نحن «حاملي المسيح»، بما أن جسده ودمه ينتشران في أعضائنا، وبهذه الكيفية نصبح – على حد تعبير الطوباوي بطرس – «شركاء الطبيعة الإلهية».

القديس كيرلس الأورشليمي _ القرن الرابع _ عظة ٢٢

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس
خوندروبولوس

الجزء الثالث ✝ الفصل الثاني ✝. (تابع)

وسادَ صمتٌ قصير كان الجميع خلاله يُبدون انتباهًا شديدًا لتعابير نكتاريوس الهادئة ووجهِهِ النبيل، وَصِدْقِ أقواله، فتابع يقول:

«أرجو أن نعيش بدءًا من اليوم يا أولادي وكأننا عائلة في المسيح يسوع. وأن نعترف بأخطائنا لبعضنا البعض، ونتبادل طرح مشكلاتنا ونؤلف أخوّة مباركة. وأَعدكم بأن أكون إلى جانبكم كما يجدر بالأب، وخصوصًا الأب الروحي. وأسمح لنفسي بأن أوجّه لكم ملاحظة منذ اليوم الأول: إنّي أرى أنكم جميعًا تقريبًا لم تعودوا تطيلون لحاكم. فلمَ لا تبقون أُمناء لتقليد الجمال الطبيعي؟ **لا تنقادوا للأوروبيين**، فلنا نحن المسيحيين الأرثوذكسيين حضارتنا الخاصة، وأسلافنا الرسل الإلهيون والآباء القديسون، كواكب الكنيسة المنيرة. فأرجوكم أن تتبعوا مثال هؤلاء الرجال، وأن تصبحوا أنتم أيضًا نماذج في هذا الجهاد ...».

وفجأة عادت الهمسات بين الطلاب، ومن جديد ظهرت على وجوههم الابتسامات. وبدت الدهشة على البعض ... وصرخ أحدهم:

– «أسقف راهب!».

وعندما أنهى نكتاريوس حديثه، حدَّقَ جيدًا في وجوه سامعيه الشبّان، في حين سمع في القاعة بعض التصفيق.

وفي الساعات التالية وُضع نكتاريوس في جوّ المدرسة من قِبَل المسؤولين، وتعرّف إلى الشؤون العادية اليومية، وبحث أمر النظام الخ ...

وعندما دخل أخيرًا إلى مكتبه، وقع نظره على وثيقة صادرة عن وزارة الشؤون الاكليريكية والتعليم العام، وفيها قرار بتعيينه مفتشًا للتنشئة الفلسفية والتربية في التعليم الثانوي.

فتمتم مبتسمًا:

– «ما العمل؟ ... سأقوم بهذه المهمة أيضًا، على قدر استطاعتي».

الجزء الثالث ✝ الفصل الثالث ✝.

«لاَ تَبْرُزْ عَاجِلاً إِلَى الْخِصَامِ، لِئَلاَّ تَفْعَلَ شَيْئًا فِي الآخِرِ حِينَ يُخْزِيكَ قَرِيبُكَ. » (٢١م ٢٥: ٨).

لم تكن كلّها برّاقة تلك الأيام والأسابيع التي تلت تعيينه ... كان يعرف بالطبع، وكجميع اليونانيين، قصة هذه المدرسة: فقد قرأ كثيرًا عن الأخوين ريزاريس خلال تلقيه علومه، وكذلك عندما كان في الاسكندرية: مانتوس الذي توفي في روسيا وقلبه يفيض رغبة في إهداء وطنه الصغير كهنة وسامريين صالحين؛ وجورج الذي عمل جاهدًا من أجل تشييد المدرسة من المال الموهوب، ومات أخيرًا دون أن يتسنى له رؤية المدرسة وقد بدأت نشاطها.

وجاءت هذه المدرسة عملًا مدروسًا ومُتقَنًا وبدت كأنها عطية سخية، وتحقيق عملي قابل للاستمرار والتطوّر لوقت طويل. كان مجلس العشرة يجتمع دائمًا بحضور خمسة أعضاء من ايبيريا، وعضوين من سميرنا، وعضو من تسّاليا، وواحد من كريت، وآخر من خيوس، تمامًا كما أراد المؤسِّسَان منذ البداية. وكانت المراكز التي تشغر على أثر وفاة الأعضاء تُملأ من جديد بتعيينات تُرفع في النهاية إلى الوزارة للموافقة عليها. إلَّا أن السلطة التنفيذية بقيت منوطة في جميع المجالات بالمكتب التنفيذي المنبثق عن المجلس نفسه الذي كان يتغيّر كل ثلاث سنوات. إلَّا أن معظم أعضاء المجلس التنفيذي كانوا من ايبيريا بدءًا بأمين السرّ ووصولًا إلى الموظفين العاديين الذين أُنيطت بهم بعض المسؤوليات. وكانوا غير قابلين للعزل، ولذلك فقد كانوا عبارة عن **طُغاة إداريين** عالمين بسلطتهم الواسعة. وكانوا يعتبرون المدير والأساتذة مجرد منفذين، وممثل الوزارة كأنه نكره.

وعندَ ظُهْرِ أحد الأيام واجه رئيس المكتب التنفيذي نكتاريوس بالقول:

– «يا أَبَتِ نحن لسنا موافقين تمامًا على أساليب سيادتكم!» وكان هذا الرجل تاجرًا هامًا جدًا في أثينا، وكان طويل القامة، نحيف الجسم وأنيقًا.

فسأل نكتاريوس:

– ماذا تقصد بقولك هذا ؟.

– نحن بحاجة إلى مزيد من الاندفاع ومزيد من السلطة.

فتمتم نكتاريوس: سأحاول ...

– «نحن بحاجة لرجل شديد الحزم، يفرض السلطة. ومن جهة أخرى فقد قيل لي انك تنمّي عند التلاميذ الزُّهد كما كان معروفًا في الماضي. ولكنك تعرف أن ليس جميع طلابنا الداخليين وأولادنا الأحباء يُعدّون أنفسهم للكهنوت».

فأجاب نكتاريوس:

– «نعم للأسف أعرف ذلك، ولكن ... (يتبع في العدد القادم)

الأرثوذكسيّة (٨٧)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا
شرح لطقس المعموديّة (تتمة)

(١٢) سرّ الميرون:

يتمَّم سرّ الميرون المُقَدَّس في الكنيسة الأرثوذكسية بعد المعموديّة مباشرة، تمامًا كما كان مُتَّبَعًا في الكنيسة الأولى. إنّه إكمال لِسِرّ المعموديّة وخاتمها. الطبيعة البشريَّة بعد أن تتطهَّر بالمعموديّة تُصبح مستعدَّة لنوال مواهب الروح القُدُس المُتعدِّدة، وكما يقول **الأب اللاهوتي ألكسندر شميمن**: «إنَّ سرّ التثبيت هو عنصَرة شخصيَّة للمُعَمَّد ودخوله في حياة الروح القُدُس .. تنصيبه كشخص كامل مُكتَمِل حقيقي .. يُدهَن جسمه كله .. يُختَم ويتقدَّس ويُكَرَّس للحياة الجديدة. يقول الكاهِن وهو يدهن الطفل: «خاتم موهبة الروح القدس» ويدهنه الكاهن على جبينه وعينيه وفتحَتَي أنفه وشفتيه وكلتا أُذنيه وصدره ويديه وقدمه .. الإنسان بكامِل كيانه يصبَح هيكلًا مقدَّسًا لله..».

إن كلمة تثبيت في اللغة العربية يقابلها في الانجليزية *Chrismation* المستمدة من الكلمة اليونانية *Chrisma* التي تعني الدُّهن. الشخص المدهون بالكريزما يصير خريستوس *Christos* أي ممسوحًا وهي نفس كلمة كرايتس *Christ* المسيح. بنوالنا سِر الميرون نصير مسيحيِّين أو مُسَحاء آخرين. إن سِر المسحة هو سِر تنصيب عامة الشعب. وبحسب الايمان الأُرثوذكسي فإن كل شخص علماني مُعمَّد قد تخصَّص وتكرَّس وتقدَّس في هذا السِرّ. إنَّه قَبِلَ موهبة الروح القُدُس ليصبَح نائبًا أو وكيلًا أو سفيرًا عن المسيح في العالم.

(١٣) سرّ الافخارستيَّا:

ينال المُعَمَّد مُباشرة بعد المعموديّة والمسحَة سِرّ الجسد الكريم، ودم المسيح الحقيقي في سِر الشركة المُقَدَّس، ويظل يُؤتَى بالطفل بعد هذا إلى الكنيسة بانتظام لينال سِرّ التناول. إنّ الحياة الجديدة في المسيح والتي تُعطى في المعموديّة تتجَدَّد مَرَّة وَمَرَّات في سِرّ القربان. كل طفل مُعَمَّد في الكنيسة الأُرثوذكسيَّة يصبح عضوًا كاملًا في الكنيسة، ويحقّ له نيل سِرّ الشركة المُقَدَّس. وكما أن الطبيعة تمدّ الطفل باللبن لتغذيه بعد ولادته، هكذا يمدّ الله الطفل بطعام سِرّ التناول بعد معموديّته مباشرة ليَتَزَوَّد بالغذاء الذي للحياة الروحيّة الأبديّة التي نالها في سِرّ المعموديّة.

(١٤) قَص الشَعْر:

بعد نوال المُعَمَّد سِرّ الميرون فإنّ الكاهن يقطَع ثلاث خُصَل من شَعر المُعَمَّد. هذا تعبير عن الشكر وعرفان بالجميل من الطفل الذي نال وَفرَة من النِعَم والبَرَكات مِن خلال سِرَّيّ المعموديّة والمسحة، فهو إذ لا يملك شيئًا ليُقَدِّمه إلى الله مقابل ذلك، فإنَّه يُقَدِّم لله جُزءًا من شَعرِه الذي هو علامة القوَّة (راجع قصة شمشون في الكتاب المقَدَّس). الطفل هنا يَعِد بأن يخدم الله بكلّ قوَّته، وبحسب كلمات الأب شميمن فإنَّ قَصّ الشَعْر هو: «علامة أن الحياة التي بدأت الآن هي حياة بَذْل وتضحية».

من المعلوم أن الأولاد في الشعب الإغريقي القديم كانوا يكرِّسون شَعْر رأسهم للآلهة عندما يبلغون طور الرجولة، وإلى الآن لا يزال بعض الرهبان المسيحيِّين يقصُّون شعر رؤوسهم كعلامة تكريس لله.

(١٥) زَفَّة دينيَّة:

ثم تبدأ بعد ذلك زفَّة روحيّة يقوم بها الكاهن والإشبين وهو يحمل الطفل المُعَمَّد حديثًا حول جرن المعموديّة. هذا يعكس الإيمان بأن عند هذه اللحظة فإنَّ الملائكة الذين في السماء يرقصون تعبيرًا عن فرحهم، بأن نفسًا جديدة سُجِّلَ اسمها في كتاب الحياة. كما يُرَنِّم الكاهن: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم الليلويا» (غل ٣:٢٧). وهذا تعبير عن ايماننا أنه في هذه اللحظة يُعيِّن الله ويُخَصِّص ملاكًا حارسًا ليظل مع الشخص المُعَمَّد حديثًا، إلى أن تنتهي رحلته في العالَم.

«لم نُعطَ الكتابات المقدسة لكي نبقيها في الكتب، بل لكي نحفرها، بالقراءة والتأمل، في قلوبنا. الناموس يجب أن يكتب على ألواح من لحم، على قلوبنا»

القديس يوحنا ذهبي الفم _ العظة ٣٢

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعةَ عشرةَ «في الروح القدس» (تابع)

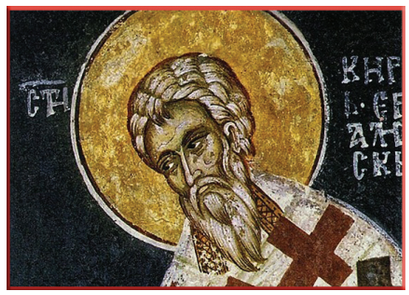

العظة السابعةَ عشرةَ
في الروح القُدس (تابع)

١٨- نشوة الخمرة الجديدة:

«وكان آخرونَ يقولون ساخرين: قد ارتَووا من خمر جديدة» (أعمال ٢:١٣). كانوا يقولون الحقّ ولكن على سبيل السخرية. فقد كانت فِعلًا خمرةً جديدةً نعمةُ العهد الجديد. ولكن هذه الخمرة الجديدة كانت من كرمة روحيّة قد أثمرت في الأنبياء وأنبتت في العهد الجديد. لأنه كما أن الكرمة، في النظام الطبيعي، تبقَى دائمًا على ما هي وتحمل ثمارًا جديدة وفقًا للفصول، كذلك الروح يظلّ كما هو: لقد عَمِلَ في الأنبياء مرارًا، وظهر اليوم بشكل جديد عجيب. إنّ النعمة قد حلّت على الأجداد، ولكنها هنا فاضت. هناك حصلوا على المشاركة في الروح القُدُس، أما هنا فَعُمِّدوا فيه تمامًا.

١٩- النشوة الروحية:

ولكن بطرس الذي كان يملك الروح القُدُس ويعرف ما كان يملك، قال: «أيها اليهود – الذين يكرزون بيوئيل ولا يفهمون ما هو مكتوب – ليس هؤلاء سكارى، كما حسبتم؛ إنهم سكارى فعلًا، لا كما تظنّون، بل كما هو مكتوب: يرتوُون من فيض بيتك، ومن نهر لذّاتك تسقيهم» (مز٣٥:٩). إنَّهم ثملون بنشوة **تُميت الخطيئة** وتُحيي القلب وتُقاوم نشوة الجسد. فهذه تنسينا ما نعرف وتلك تمنحنا معرفة ما لا نعرف نعم إنهم سكارى بخمرة الكرمة الروحية؛ فقد قال: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥:٥). «وإن كنتم لا تصدِّقوني، فافهموا ما أقول بحسب الوقت، إنما نحن في الساعة الثالثة من النهار» (أعمال ٢:١٥). «فالذي صُلِبَ في الساعة الثالثة – بحسب مرقس (٢٥:٥) – أَرسَلَ إلينا الآن نعمَته في الساعة الثالثة؛ ونعمة هذا لا تختلف عن نعمة ذاك. فالذي صُلِبَ عندئذ يعني بالوعد الذي عهده. واذا أردتم شهادة فاسمعوا: وما ذلك إلّا الذي أوحِيَ إلى النبي يوئيل: قال الله: «سيكون في الأيام الأخيرة فيض روحي» (أعمال ٢:١٦-١٧). وهذه الكلمة «فيض» تعني عطية غزيرة. «لأن الله وهب له الروح بغير حساب؛ ان الآب يحبّ الابن فجعل كل شيء في يده» (يو ٣:٣٤-٣٥)، «وأعطاه السلطان أن يمنح الروح القُدُس لمن يشاء. فيض من روحي أُفيضه على الناس أجمعين، فينبِئ بنوهم وبناتهم. أجل، في تلك الأيام، أُفيض من روحي على عبادي وعابداتي فيُنبئون» (أعمال ٢:١٧-١٨). إنَّ الروح القُدُس لا يستثني أحدًا. إنَّه لا يبحث عن الكرامات بل عن النفوس التقيّة. فلا يتكبّر الاغنياء ولا يتواضع الفقراء، ولكن فليستعدّ كلّ واحد لِتَقبُّل النعمة السماوية.

٢٠- الرُّوح القُدُس في الأعمال والرسائل:

لقد تكلمنا اليوم كثيرًا، ولعلّ آذانكم تعبت. ومع ذلك هناك أشياء كثيرة للقول. وفي الحقيقة لا بُدّ من عظة ثالثة، بل من عظات أخرى لمعالجة العقيدة الخاصة بالرُّوح القُدُس. وأرجو المعذرة لهاتين العِظَتَيْن. إنَّ **عيد الفصح** قد اقترب، وقد أطلنا في عظتنا اليوم؛ ومع ذلك لم نستطع أن نضع في متناولكم كلّ شهادات العهد الجديد. إذ لا تزال هناك أشياء كثيرة نقولها عن أعمال الرسل حيث نعمة الرُّوح القُدُس عملت **في بطرس وفي سائر الرسل**. هناك أشياء كثيرة نقولها عن الرسائل الجامعة ورسائل بولس الأربع عشرة. ولذلك سنحاول الآن أن نقطف بعض هذه الشهادات كما تُقتَطَف الزهور في مروج واسعة، حتى تحفظوها في ذاكرتكم.

٢١- اعمال الرسل في بداية الكنيسة:

ولكن بقدرة الرُّوح القُدُس وبإرادة الآب والابن، وقف **بطرس مع الأحد عشر**، ورفع صوته كما هو مكتوب: «إرفعي صوتك بقوّة يا مبشّرة أُرشليم» (أشعياء٤٠:٩). وبشبكة كلماته الروحية اصطاد ثلاثة آلاف نفس. وقد عملت هذه النعمة أيضًا في جميع الرسل معًا. بحيث أن عددًا كبيرًا من هؤلاء اليهود الذين **صلبوا المسيح**، آمنوا واعتمدوا باسم المسيح، «وكانوا يتابعون تعليم الرسل ... الصلاة» (أعمال ٢:٤٢). وبذات قوّة الرُّوح القُدُس، شَفَى **بطرس ويوحنا** باسم يسوع – عندما صَعِدَا الى الهيكل معًا للصلاة في الساعة التاسعة – الرجلَ الذي كان مُضطجعًا عند الباب الحَسَن، وهو مُقعَد منذ مولده، منذ أربعين سنة، ليتمّ ما هو مكتوب: «حينئذ يطفر الأعرج كالأيل» (أشعياء ٣٥:٦). وبشبكة التعليم الروحية إصطادا خمسة آلاف مؤمن، وأثبَتَا الضلال على **شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة**، وذلك ليس بحكمتهما (لأنهما كانا أُمِّيَّيْنِ وغير مُثَقَّفَيْنِ)، ولكن بقدرة الرُّوح القُدُس، إذ كتب: «فقال لهم بطرس وهو ممتلىء من الرُّوح القُدُس (أعمال ٤:٨). ونعمة الرُّوح القُدُس التي أثمرت على أيدي **الرُّسُل الإثني عشر** في جميع الذين آمنوا، بلغت حدًّا بحيث أنهم لم يكونوا يؤلِّفون «إلّا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة ... وكان كل شيء لهم مشتركًا بينهم» (أعمال ٤:٣٢)؛ «وكان كلّ من يملك الحقول أو البيوت يبيعها ويأتي بثمن المبيع، ولم يكن فيهم محتاج» (أعمال ٤:٣٤). أما **حنانيا وسفيرة اللذان كذبا** على الرُّوح القُدُس، فقد نالا العِقَاب الذي استحقاه.